



**الشعر**، تمازجُ مركب بين الحقيقة والحلم، بين اللغة والحياة، بين الجزئي والكلّي، والذاتي والجماعي.

ويطمح الشاعر لكنه يلجم أحلامه قليلاً، كي لا يموت بجرعة فرح كاذب، ولكي يعلن الهدنة الوجيزة بين الواقع ورغبة تجاوزه، حتى تأمل الجهات الجديدة للغة والواقع والمعنى الجديد المولود منهما. الإبداع فردانية متطرّفة، لكن حين يتصل العام والخاص والجماعي بالشخصي في نقطة تداخل الذوات، يذوب الفرد والجماعة ويشكلان كلاً جديداً بالمعنى الصوفي. وفلسطين التي تفجع مأساتها الأبدية أبناءها كل لحظة وتفجع مأسبها المتغيرة أبناءها إلى الأبد، تولد رغبة البحث عن الوجود داخل العدم، والمعنى داخل الفراغ، فتلد من لدنها الباحثين عن الإنسان الضائع وعن فردوسه المفقود فيه. ومن هذه الحالة الخاصة نشأ محمود درويش ليصعد الحالة القائمة إلى مدارات جديدة للقلق والبحث عن معان وجودية جديدة داخل المنفى الكبير الذي يشكّل مقبرة لحطام التاريخ والجغرافيا والهوية والإنسان.

**محمود درويش** عبقرية شعرية نادرة في تاريخنا الأدبي المعاصر، استطاع الاستفادة من التراث العربي والإنساني، دون أن يتبع مدرسة أو استاذاً معيناً، فكون حالة خاصة تحولت بدورها إلى مدرسة ذات خصوصية استثنائية، شكلت وستشكل لبنة أخرى هامة في البناء الأدبي العربي والعالمي. محمود درويش المسكون بالمأساة والحلم، والألم والأمل، والقيود والحرية والشك واليقين، مسكون أيضاً بهاجس التطور الروحي والنفسي والحسي والذهني والشعوري والثقافي واللغوي كي يتطور ويطور انعكاس داخله أي النص، هذا الهاجس لم يفارقه حتى آخر نقطة حبر من قلمه النشيط وآخر نبضة من قلبه المتعب.

في هذا الملحق المتواضع الذي يشكّل مختارات من مسيرة شاعرنا الكبير الأدبية اخترنا في انتقاء القصائد والنصوص، والسبب هو انتقائية محمود درويش غير العادية خلال مسيرته الطويلة التي قاربت نصف قرن، فمحمود كان باعقادي ناقدًا قاسياً حيال نفسه، لا يقتنع بكل ما يكتبه، يعمل كثيراً على

## أثر الشاعر

ملحق خاص لذكرى محمود درويش

تحرير وإعداد سامي مهنا وعلاء حليل  
تصميم الغلاف عبد طميش  
خطوط أحمد زعبي

محمود كان ناقدًا قاسياً  
حيال نفسه، لا يقتنع بكل ما  
يكتبه، يعمل كثيراً على تنقيح  
قصائده كما صرّح بنفسه، لا  
يُدخل قصيدة إلى مجموعة  
جديدة إلا بعد طول تفكير، ولا  
يرضى بأي قصيدة إن لم تكن  
متجاوزة لما سبقها

تنقيح قصائده كما صرّح بنفسه، لا يُدخل قصيدة إلى مجموعة جديدة إلا بعد طول تفكير، ولا يرضى بأي قصيدة إن لم تكن متجاوزة لما سبقها، لذا نرى أن معظم أعمال درويش - ولا سيما الحديثة - تحمل قيمة فنية عالية، مما يصعب انتقاء قصيدة وإهمال غيرها في ملحق أو كتاب. ولكن لا شك أن هنالك قصائد ونصوصاً نثرية تُعد بنظرنا ونظر الكثيرين أهم من غيرها، إما من الجانب الفني وإما من خلال أهميتها التاريخية المتعلقة بالقضية الفلسطينية أو أنها شكلت منعطفاً ومحطة هامة في مسيرته الأدبية أو لشهرتها. ولذلك وقع الاختيار على القصائد المنشورة هنا، والحقيقة أننا لم نختار قصائد ونصوصاً من مراحل الأولى، لأن محمود درويش كما قلت سلفاً تطور فنياً وفكرياً حتى آخر أعماله، لذا نجد أن قيمته تصاعدت تقريباً دون انحناءات وخلال كل تاريخه الأدبي مما يشكل حالة نادرة عربياً وعالمياً.

وقد قال محمود درويش إن تطوره الشعري تم من خلال التراكم وليس من خلال القفز، وهذا يشرح الترابط الفني بين قصائده الأولى والأخيرة رغم تطوره الكبير.

وقد اخترنا مقاطع من القصائد الطويلة والمطولات وذلك لضيق المساحة، ولكننا ننصح القارئ الكريم بأن يعود للقصائد ويقرأها كاملة، ليس لأنها تستحق القراءة الكثيرة فحسب، بل لأن القصيدة لا تُقرأ أجزاء بل تُقرأ كلاً كاملاً كالسما. والتجزئ هو ضرورة كما أسلفت.

**وقصيدة** "سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا" من مجموعة "أحبك أو لا أحبك"

الصادرة عام ١٩٧٢، هي تحول ما في شعر درويش، وللق والإصاف قد نبهني لهذه القصيدة الشاعر أدونيس، الذي يعتقد أنها شكلت منعطفاً نحو حداثة درويش الحقيقية. وإذا تمعنا في القصيدة نلاحظ تغيراً فنياً على مستوى القصيدة الكل أي بمعناها التام وعلى مستوى الأجزاء أي بفنية مفرداتها وجمالها الشعرية، وقصيدة "أحمد الزعتر"، من مجموعة "أعراس" الصادرة عام ١٩٧٧، المعروفة بأحمد العربي والتي لحنها وغناها مرسيل خليفة تشكل محطة هامة لقيمتها الفنية والسياسية وهي قصيدة مقاومة بامتياز، ففيها يحرض الشاعر الفلسطيني على مقاومة الظلم والاحتلال والعدوان والعنف والفقر والحاجة والجوع والقيح وكل ما يسبب تعاسة الإنسان والجماعة والشعوب، وهي مستمدة من الواقع الفلسطيني المأساوي، في كل مكان وزمان بعد النكبة.

القصيدة هي "النشيد لأحمد المنسي بين فراشتين" كما وصفها الشاعر، واليدان من حجر وزعتر، ترمزان للقوة والصلابة من ناحية وللحياة من ناحية أخرى. هذه القصيدة مركبة جداً وفيها تعقيدات ودلالات متعددة تخرج من رحم الواقع المأساوي وتحرض على المقاومة والتغيير.

ومديح الظل العالي هي مطولة يصف فيها درويش حرب لبنان الأولى وخروج المنظمة الفلسطينية من بيروت، وتعد من أهم القصائد التي تصف بدقة وفنية مرحلة تاريخية مفصلية في تاريخ الشعب الفلسطيني، وهي مدهشة كونها تجمع بين الوضوح والنبذة العالية والفنية مجتمعين. وكتاب ذاكرة للنسيان هي مكملة هذه القصيدة وقصيدة بيروت بصيغة النثر الذي يلج إلى التفاصيل اليومية التي لا تصلح أن تكتب شعراً. وقصائد "يحبوني ميتاً"، "مأساة النرجس ملهاة الفضة"، "الكمنجات" و"شتاء ريتا"، قصائد قريبة للمناخ نفسه وإن تحمل في طياتها تطوراً دائماً، كما هو الحال في قصائد درويش الذي يتطور من خلال التراكم، كأنه يبني عمارته الشعرية طبقاً طبقاً، طامحاً أن يطأ الفضاء.

**وبعد** ذلك يتجاوز مرحلة، ويبدأ مرحلة فنية جديدة كما اعتقد، أو منعطفاً فنياً آخر يبتدىء عند مجموعة "لماذا تركت الحصان وحيداً" الصادرة عام ١٩٩٥ عن دار رياض الرئيس التي نشرت كل باقي أعماله الأدبية. وقد اخترنا من هذه المجموعة قصيدة "أبد الصبار". في هذه المجموعة تحديداً وحتى كتابه الأخير "أثر الفراشة" ينعطف محمود درويش نحو التبسيط في الأسلوب والسعي إلى معانٍ أكثر عمقا، والابتعاد عن الاستعارات التقليدية والبلاغة بصيغها القديمة. ورأى الناقد صبحي حديدي أن مجموعة "لماذا تركت

الحصان وحيداً" جديدة على المشهد الشعري العربي بأسره، وفعلاً هنالك تجديد أسلوبياً منذ هذه المجموعة نستطيع أن نقول إنها معادلة شعرية أو خلطة لغوية تخص محمود درويش وحده، ومن أهم سماتها الأناقة وفن الحذف حيث أنه لا نجد في القصائد زيادات لغوية وإضافات ونعوتات إلخ... وقصيدة "كاما سوترا" العذبة من مجموعة سرير الغريبة وهي مجموعة غزلية، والمعروف أن انشغال محمود درويش بالقضية الفلسطينية لم يترك له المجال الكبير ليكتب عن الحب والمرأة.

وقد صرّح في لقاء صحافي له قبل فترة قصيرة أنه سيتفرغ نوعاً ما لقضايا الحب والجمال والحياة، وإنما وافته المنية قبل أن يكمل مشواره الساحر ومشروع قصيدته التي بدأت تصل في سنواته الأخيرة إلى مرحلة الصفاء. وقد اخترنا مقاطع من "جدارية محمود درويش" وهي مطولة رائعة يخاطب فيها الموت والحياة والأبدية، وقد كتبها إثر عملية قلب معقدة، وقد شعر حينها أن الموت قريب منه، فخاطبه بخطاب مدهش، يذكرنا بأعمال أدبية عظيمة مثل ملحمة جلجامش وغيرها. واخترنا من مجموعة "لا تعتذر عما فعلت" قصيدة "ولنا بلاد"، ومن مجموعة "كزهر اللوز أو أبعد" قصيدة "مقهى وأنت مع الجريدة" وقصيدة "لم تأت"، ونشير إلى قصيدة "لاعب النرد" التي لم تنشر في مجموعة وهي من آخر أعماله الشعرية، والتي بكر محمود درويش في نشرها بغير عاداته، فهو عامة وخصوصاً في الأونة الأخيرة لا ينشر قصائده قبل أن تطبع مجموعة جديدة له، أو في فترة قصيرة قبل أن تطبع، وهذا دليل أنه أحس اقتراب الموت، وأنه ربما لن يصدر مجموعة جديدة بعد "أثر الفراشة" وأيضاً اسم هذه المجموعة "أثر" يدعو إلى التأمل. وقد اخترنا مقاطع نثرية من "ذاكرة للنسيان"، ومقالة كتبها عند اندلاع الانتفاضة الثانية وله كتب نثرية أخرى آخرها "حيرة العائد".

**وقد** ابتدأنا المختارات بقصيدة "إجازة قصيرة" من مجموعته الأخيرة التي صدرت في كانون الثاني ٢٠٠٨، والمدهش الغريب أنه يفتتح هذه القصيدة بجملة "صدقني مت يوم السبت" وقد مات محمود درويش يوم السبت كما كتب. وأنا أصدق أنه شعر بموته قبل أوانه، واعتقد دون مبالغة أو تضخيم أو تقديس أن محمود درويش وصل إلى علو روحي، وهذا العلو يتجلى واضحاً بصفاء قصائده ورؤيته ورؤياه.

محمود درويش أحد القامات الشعرية العربية والعالمية الشامخة في كل العصور، دخل إلى سجل الخالدين، شاعر قضية، وقضية شعر التي لا تنتهي ولا تستنفد.



نجد أن قيمته تصاعدت تقريباً دون انحناءات وخلال كل تاريخه الأدبي مما يشكل حالة نادرة عربياً وعالمياً

# أثر الشاعر

## إجازة قصيرة

صدقتُ أنني متُّ يومَ السبتِ،  
قلتُ: عليّ أن أوصي بشيءٍ ما  
فلم أعتزُّ على شيءٍ..  
وقلتُ: عليّ أن أدعو صديقاً ما  
لأخبره بأني متُّ  
لكن لم أجد أحداً..  
وقلتُ: عليّ أن أمضي إلى قبري

لأملأه، فلم أجد الطريقَ  
وظلُّ قبري خالياً مني  
وقلتُ: عليّ واجبٌ أن أودّي واجبي:  
أن أكتبَ السطرَ الأخيرَ على الظلالِ  
فسألَ منها الماءُ فوقَ الحرفِ..  
قلتُ: عليّ أن آتي بفعلٍ ما  
هنا، والآن

لكن لم أجد عملاً يليقُ بميتٍ  
فصرختُ: هذا الموتُ لا معنى له.  
عبثٌ وفوضى في الحواسِ،  
ولن أصدقُ أنني قد متُّ موتاً كاملاً  
فلربما أنا بين بين  
وربما أنا ميتٌ متقاعدٌ  
يقضي إجازته القصيرة في الحياة!



## سيرة

عاش محمود درويش (١٩٤١-٢٠٠٨) بلا مدينة، موزعاً على المنافي، ومات في هيوستن ولاية تكساس الأميركية، مساء السبت الماضي. كان طفلاً عندما ذاق طعم الهجرة، منذ خرجت عائلته من قرية "البروة" شمالي عكا، عام ١٩٤٨. لجأت العائلة إلى جنوب لبنان، في رميش قرب جزين، وكان محمود الثاني بين خمسة إخوة وثلاث أخوات. بعد انقضاء عام، عاد متخفياً مع العائلة ليكتشفوا أن قريتهم دمّرت (وأقيم على أنقاضها كيبوتس «أحيهود»)، فأقاموا في دير الأسد في الجليل، ثم استقروا في قرية الجديدة. واعتبرتهم إسرائيل «غائبين حاضرين» لأنهم كانوا غائبين لدى أول إحصاء إسرائيلي للعرب في البلاد، فعاشوا لاجئين في بلدهم. هذا الوضع أوحى له بقصيدة «بطاقة هوية» (سجل أنا عربي) عام ١٩٦٧.

فرضت عليه الإقامة الجبرية عقداً كاملاً، لكنه ظل يتنقل بقصائده بين القرى، بعدما أصدر ديوانه الأول «عصافير بلا أجنحة» (١٩٦٠). في عام ١٩٧٢ التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية، واختار المنفى فمضى إلى موسكو ثم القاهرة، واستقر في بيروت. أشرف فيها على «مركز الأبحاث الفلسطينية»، وترأس تحرير مجلة «شؤون فلسطينية»، وترأس رابطة الكتاب والصحافيين الفلسطينيين إلى أن أطلق مجلة «الكرمل» عام ١٩٨٠ وانتقلت معه إلى قبرص فرام الله ثم احتجبت قبل سنوات في رام الله. في عام ١٩٨١ كتب قصديته «أصدقائي لا تموتوا»، وكان قد شهد اغتيال صديقه ماجد أبو شرار، خلال مشاركتهما في مؤتمر عالمي. بعد اجتياح بيروت، أصدر درويش عمله النثري الأول «ذاكرة للنسيان». وتنقل بين تونس والقاهرة وقبرص وبلغاريا حتى استقر في باريس. عمل مستشاراً للرئيس ياسر عرفات، وانتخب عضواً في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير عام ١٩٨٨، واستقال منها عام ١٩٩٦ احتجاجاً على اتفاق «أوسلو». عاد عام ١٩٩٤ ليقوم في رام الله، موزعاً أوقاته بينها وبين عمان. أصدر أكثر

من ثلاثين ديواناً، نذكر بينها: «عاشق من فلسطين» (١٩٦٦) و«آخر الليل» (١٩٦٧) و«حبيبتي تنهض من نومها» (١٩٧٠) و«ورد أقل» (١٩٨٧) و«لماذا تركت الحصان وحيداً» (١٩٩٥) و«حالة حصار» (٢٠٠٢) و«كزهر اللوز أو أبعد» (٢٠٠٥) وأخيراً «أثر الفراشة» (٢٠٠٨).

أما آخر قصائده فكانت «سيناريو جاهز» التي نشرت في الصحف قبل أسابيع. حاز جوائز عالمية عدة منها «اللوتس» و«لينين» و«درع الثورة الفلسطينية»... حتى الـ «برنس كلاوس»، مروراً بـ «جائزة العويس». موقعه الرسمي: [www.mahmouddarwish.com](http://www.mahmouddarwish.com)



أنقاض قرية البروة - تصوير: مقبولة نصار

وافته المنية قبل أن يكمل مشواره الساحر ومشروع قصيدته التي بدأت تصل في سنواته الأخيرة إلى مرحلة الصفاء



# سرحان يشرب القهوة في الكافيتريا

شوارع أخرى اختفت من مدينته (أخبرته الأغاني  
وعزلته ليلة العيد أن له غرفة في مكان .)  
ورائحة البن جغرافيا  
ورائحة البن يد  
ورائحة البن صوت ينادي.. ويأخذ  
ورائحة البن صوت ومثذنه (ذات يوم تعود.)  
ورائحة البن ناي تزغرد فيه مياه المزاريب ينكمش  
الماء يوما ويبقى الصدى.  
وسرحان يحمل أرصفة ونواصي ومكتب حجز التذاكر  
سرحان يعرف أكثر من لغة و فتاة. ويحمل تأشيرته  
لدخول المحيط و تأشيرته للخروج ولكن سرحان  
قطرة دم تفتش عن جبهة نزفتها.. وسرحان  
قطرة دم تفتش عن جثة نسيته.. وأين؟  
ولست شريدا.. ولست شهيدا  
ورائحة البن جغرافيا.  
وسرحان يشرب قهوته ..  
ويضيع

- نسيت  
وأملك  
- نسيت  
وهل نمت ليلة أمس؟  
- لقد نمت دهرًا  
حلمت؟  
- كثيرا  
بماذا  
- بأشياء لم أرها في حياتي  
وصاح بهم فجأة:  
- لماذا أكلتم خضارا مهربة من حقول أريحا؟  
- لماذا شربتم زيتا مهربة من جراح المسيح؟  
وسرحان متهم بالشذوذ عن القاعدة  
رأينا أصابعه تستغيث. و كان يقيس السماء بأغلاله  
زرقة البحر يزجرها الشرطي، يعاونه خادم آسيوي،  
بلاد تغير سكانها، والنجوم حصى  
وكان يغني مضي جيلنا وانقضى.  
مضى جيلنا وانقضى.  
وتناسل فينا الغزاة تكاثر فينا الطغاة. دم كالمياه.  
وليس تحفقه غير سورة عم وقبعة الشرطي  
وخادمه الآسيوي. وكان يقيس الزمان بأغلاله  
سألناه: سرحان عم تساءلت؟  
قال: اذهبوا، فذهبنا  
إلى الأمهات اللواتي تزوجن أعداءنا.  
وكن ينادين شيئا شبيها بأسمائنا.  
فيأتي الصدى حرسا  
ينادين قمحا  
فيأتي الصدى حرسا  
ينادين عدلا  
فيأتي الصدى حرسا.  
ينادين يافا  
فيأتي الصدى حرسا  
ومن يومها، كفت الأمهات عن الصلوات وصرنا  
نقيس السماء بأغلالنا  
وسرحان يضحك في مطبخ الباخرة  
يعانق سائحة، والطريق بعيد عن القدس والناصره  
وسرحان متهم بالضياح والعدمية  
وكل البلاد بعيدة.  
شوارع أخرى اختفت من مدينته (أخبرته الأغاني  
وعزلته ليلة العيد أن له غرفة في مكان)  
ورائحة البن جغرافيا  
وما شردوك.. وما قتلوك .  
أبوك احتفى بالنصوص، وجاء اللصوص  
ولست شريدا.. ولست شهيدا.. وأملك باعت  
ضفائرها للسنايل والأمنيات: وفوق سواعدنا  
فارس لا يسلم (وشم عميق). وفوق أصابعنا  
كرمة لا تهاجر (وشم عميق)  
خطى الشهداء تبيد الغزاة  
(نشيد قديم)  
ونافذتان على البحر يا وطني تحذفان المنافي.. وأرجع  
(حلم قديم - جديد)

يجيئون،  
أبوابنا البحر، فاجأنا مطر. لا إله سوى الله. فاجأنا  
مطر ورصاص. هنا الأرض سجادة، والحقائب  
غربة  
يجيئون،  
فلترجل كواكب تأتي بلا موعد. والظهور التي  
استندت للخناجر مضطرة للسقوط  
وماذا حدث؟  
أنت لا تعرف اليوم. لا لون. لا صوت. لا طعم  
لا شكل.. يولد سرحان، يكبر سرحان،  
يشرب خمرا ويسكر. يرسم قاتله، ويمزق  
صورته. ثم يقتله حين يأخذ شكلا أخيرا  
ويرتاح سرحان:  
سرحان! هل أنت قاتل؟  
ويكتب سرحان شيئا على كم معطفه، ثم تهرب  
ذاكرة من ملف الجريمة.. تهرب.. تأخذ  
منقار طائر.  
وتأكل حبة قمح بمرج بن عامر  
وسرحان متهم بالسكوت، وسرحان قاتل  
وما كان حبا  
يدان تقولان شيئا، وتنطفئان  
قيود تلد  
سجون تلد  
مناف تلد  
ونلتف باسمك.  
ما كان حبا  
يدان تقولان شيئا.. وتنطفئان  
ونعرف، كنا شعوبا وصرنا حجارة  
ونعرف كنت بلادا وصرنا دخان  
ونعرف أشياء أكثر  
نعرف، لكن كل القيود القديمة  
تصير أساور ورد  
تصير بكارة  
في المنافي الجديدة  
ونلتف باسمك  
ما كان حبا  
يدان تقولان شيئا و تنطفئان.  
وسرحان يكذب حين يقول رضعت حليبك، سرحان  
من نسل تذكرة، و تربي بمطبخ باخرة لم تلامس  
مياهك. ما اسمك؟  
- نسيت.  
وما اسم أبيك؟



- لماذا أكلتم خضارا مهربة من حقول أريحا؟  
- لماذا شربتم زيتا مهربة من جراح المسيح؟

ملحق خاص لذكرى  
محمود درويش

4 لقاء 15 آب 2008

# أحمد الزعتر (مقاطع)

ليدين من حَجَرٍ وزعترٍ  
هذا النشيد .. لأحمد المنسي بين فراشتين  
مَصَّتْ الغيومُ وشردتني  
ورمت معاطفها الجبال وخبأتني  
نازلاً من نحلة الجرح القديم إلى تفاصيل  
البلاد وكانت السنة انفصال البحر عن مدن  
الرماد ، وكنت وحدي

ثم وحدي ..  
أه يا وحدي ؟ وأحمد  
كان اغتراب البحر بين رصاصتين  
مُخِيماً ينمو ، ويُنجب زعترًا ومقاتلين  
وساعدا يشد في النسيان  
ذاكرة تَجِيء من القطارات التي تمضي  
وأرصفة بلا مستقبلين وياسمين  
كان اكتشاف الذات في العربات  
أو في المشهد البحري  
في ليل الزنازين الشقية  
في العلاقات السريعة  
والسؤال عن الحقيقة  
في كل شيء كان أحمد يلتقي بنقيضه  
عشرين عاماً كان يسأل  
عشرين عاماً كان يرسل  
عشرين عاماً لم تلده أمه إلا دقائق  
في إناء الموز  
وانسحبت

يريد هوية فيصاب بالبركان ،  
سافرت الغيوم وشردتني  
ورمت معاطفها الجبال وخبأتني  
أنا أحمد العربي - قال  
أنا الرصاص البرتقال الذكريات  
وجدت نفسي قرب نفسي  
فابتعدت عن الندى والمشهد البحري  
تل الزعتر الخيمة  
وأنا البلاد وقد أتت  
وتقمصتني  
وأنا الذهاب المستمر إلى البلاد  
وجدت نفسي ملء نفسي ...

لم تأت أغنيتي لترسم أحمد الكحلي في الخندق  
الذكريات وراء ظهري ، وهو يوم الشمس والزنق  
يا أيها الولد الموزع بين نافذتين  
لا تتبادلان رسائلي  
قاوم  
إن التشابه للرمال .. وأنت للأزرق  
وأحمد يفرك الساعات في الخندق  
لم تأت أغنيتي لترسم أحمد المحروق بالأزرق  
هو أحمد الكوني في هذا الصفيح الضيق  
المتمزق الحالم  
وهو الرصاص البرتقالي .. البنفسج  
الرصاصية

وهو اندلاع ظهيرة حاسم  
في يوم حريه

... سائراً بين التفاصيل اتكأت على مياه  
فانكسرت  
أكلماً نهدت سفرجلة نسيت حدود قلبي  
والتجأت إلى حصار كي أهدد قامتي  
يا أحمد العربي ؟  
لم يكذب علي الحب . لكن كلما جاء المساء  
امتصني جرس بعيد  
والتجأت إلى زيفي كي أهدد صورتي  
يا أحمد العربي  
لم أغسل دمي من خبز أعدائي  
ولكن كلما مررت خطاي على طريق  
فرت الطرق البعيدة والقريبة  
كلما آخيت عاصمة رمتني بالحقيقة  
فالتجأت إلى رصيف الحلم والأشعار  
كم أمشي إلى حلمي فتسبقني الخناجر  
أه من حلمي ومن روما ..  
وحيفا من هنا بدأت  
وأحمد سلم الكرمل  
وبسملة الندى والزعتر البلدي والمنزل

كان المخيم جسم أحمد  
كانت دمشق جفون أحمد  
كان الحجاز ظلال أحمد  
صار الحصار مرور أحمد  
فوق أفئدة الملايين الأسيره  
صار الحصار هجوم أحمد  
والبحر طلقته الأخيرة !

يا خصر كل الريح  
يا أسبوع سكر !  
يا اسم العيون ويا رُخامي الصدى  
يا أحمد المولود من حجر وزعتر  
ستقول : لا  
ستقول : لا  
جلدي عباءة كل فلاح سيأتي من حقول التبغ  
كي يلغي العواصم  
وتقول : لا  
جسدي بيان القادمين من الصناعات الخفيفة  
والتردد .. والملاحم  
نحو اقتحام المرحلة  
وتقول : لا  
ويدي تحيات الزهور وقنبلة  
مرفوعة كالواجب اليومي ضد المرحلة  
وتقول : لا  
يا أيها الجسد المخرج بالسفوح  
وبالشموس المقلبة

وتقول : لا  
يا أيها الجسد الذي يتزوج الأمواج  
فوق المفصله  
وتقول : لا  
وتقول : لا  
وتقول : لا  
يا اسم الباحثين عن الندى وبساطة الأسماء  
يا اسم البرتقاله  
يا أحمد العادي !  
كيف مَحَوَّت هذا الفارق اللفظي بين الصخر والتفاح ..  
بين البندقية والغزاله !

يا أحمد العربي .. قاوم  
لا وقت للمنى وأغنيتي ..  
سندهب في الحصار  
حتى رصيف الخبز والأمواج  
تلك مساحتي ومساحة الوطن - الملائم  
موت أمام الحلم  
أو حلم يموت على الشعار  
فانهدب عميقاً في دمي وانهدب عميقاً في الطحين ..  
لنصاب بالوطن البسيط وباحتمال الياسمين  
...وله انحناءات الخريف  
له وصايا البرتقال  
له القصائد في الزيف  
له تجاعيد الجبال  
له الهتاف  
له الزفاف  
له المجالات الملوثة  
المراثي المطمئنة  
ملصقات الحائط  
العلم  
التقدم

فرقة الإنشاد  
مرسوم الحداد  
وكل شيء كل شيء كل شيء  
حين يعلن وجهه للذاهبين إلى ملامح وجهه  
يا أحمد المجهول ..  
كيف سَكَنَتْنَا عشرين عاماً واختفيت  
وظل وجهك غامضاً مثل الظهيرة  
يا أحمد السري مثل النار والغابات  
أشهر وجهك الشعبي قينا  
واقراً وصيكت الأخيرة  
يا أيها المتفريجون ! تناثروا في الصمت  
وابتعدوا قليلاً عنه كي تجدوه فيكم  
حنطة ويدين عاريتين  
وابتعدوا قليلاً عنه كي يتلو وصيته  
على الموتى إذا ماتوا  
وكي يرمي ملامحه  
على الأحياء إن عاشوا !..

(من ديوان «أعراس» ١٩٧٧)



من قمحنا.. من ملحنا.. من جرحنا  
من كل شيء ، واخرجوا  
من مفردات الذاكرة  
أيها المارون بين الكلمات العابره!

أيها المارون بين الكلمات العابره  
احملوا اسماءكم، وانصرفوا  
واسرقوا ما شئتم من زرقة البحر ورمل الذاكرة  
وخذوا ما شئتم من صور ، كي تعرفوا  
انكم لن تعرفوا  
كيف يبني حجر من ارضنا سقف السماء

تفاحة للبحر، نرجسة الرخام، فراشة حجريّة بيروت  
شكل الروح في المرآة  
وصف المرأة الأولى ورائحة الغمام  
بيروت من تعب ومن ذهب، وأندلس وشام .  
فضة، زبد، وصايا الأرض في ريش الحمام.  
وفاة سنبله، تشردّ نجمة بيني وبين حبيبيتي بيروت .  
لم أسمع دمي من قبل ينطق باسم عاشقة تنام على  
دمي... و تنام ...  
من مطر على البحر اكتشفنا الإسم، من طعم الخريف  
وبرتقال  
القادمين من الجنوب، كأننا أسلافنا نأتي إلى بيروت كي  
نأتي إلى  
بيروت ...  
من مطر بنينا كوخنا، والريح لا تجري فلا تجري، كأنّ  
الريح  
مسمار على الصلصال، تحفر قبونا فننام مثل النمل في  
القبو  
الصغير  
كأننا كنا نغنيّ خلصة :

بيروت خيمتنا  
بيروت نجمتنا  
سبايا نحن في هذا الزمان الرخو  
أسلمنا الغزاة إلى أهالينا  
فما كدنا نعصّ الأرض حتي انقضّ حامينا  
على الأعراس و الذكرى فوزعنا أغانيها على الحراس  
من ملك على عرش  
إلى ملك على نعش  
سبايا نحن في هذا الزمان الرخو  
لم نعثر على شبه نهائي سوى دمنا  
ولم نعثر على ما يجعل السلطان شعبياً  
ولم نعثر على ما يجعل السجان وديا  
ولم نعثر على شيء يدل على هويتنا  
سوى دمنا الذي يتسلق الجدران ...  
ننشد خلصة:  
بيروت خيمتنا  
بيروت نجمتنا  
...و نافذة تطل على رصاص البحر  
يسرقنا جميعا شارع و موشح  
بيروت شكل الظل  
أجمل من قصيدتها و أسهل من كلام الناس  
تغرينا بداية مفتوحة و بأبجديات جديدة :  
بيروت خيمتنا الوحيدة  
بيروت نجمتنا الوحيدة  
هل تمددنا على صفصافها لنقيس أجسادا محاها البحر  
عن أجسادنا  
جئنا إلى بيروت من أسمائنا الأولى  
نفقش عن نهايات الجنوب و عن وعاء القلب ...  
سال القلب سال ...  
وهل تمددنا على الأطلال كي نكون الشمال بقامة

أيها المارون بين الكلمات العابره  
منكم السيف . ومنا دمنا  
منكم الفولاذ والنار . ومنا لحمنا  
منكم دبابة اخرى . ومنا حجر  
منكم قنبلة الغاز . ومنا المطر  
وعلينا ما عليكم من سماء وهواء  
فخذوا حصتكم من دمنا وانصرفوا  
وادخلوا حفل عشاء راقص.. وانصرفوا  
وعلينا ، نحن ، ان نحرس ورد الشهداء  
وعلينا ، نحن ، ان نحيا كما نحن نشاء!

أيها المارون بين الكلمات العابرة  
كالغبار المر ، مروا أينما شئتم ولكن  
لا تمروا بيننا كالحشرات الطائرة  
فلنا في ارضنا ما نعمل  
ولنا قمح نربيه ونسقيه ندى اجسادنا  
ولنا ما ليس يرضيكم هنا:  
حجر .. او خجل  
فخذوا الماضي، اذا شئتم، الى سوق التحف  
واعيدوا الهيكل العظمى للهدهد، إن شئتم،  
على صحن خزف.  
فلنا ما ليس يرضيكم : لنا المستقبل  
ولنا في ارضنا ما نعمل

أيها المارون بين الكلمات العابره  
كدسوا او هامكم في حفرة مهجورة ، وانصرفوا  
واعيدوا عقرب الوقت الى شرعية العجل المقدس  
أو الى توقيت موسيقى مسدس!  
فلنا ما ليس يرضيكم هنا ، فانصرفوا  
ولنا ما ليس فيكم، وطن ينزف شعبا ينزف  
وطنا يصلح للنسيان او للذاكرة  
أيها المارون بين الكلمات العابره  
أن أن تنصرفوا  
وتقيموا أينما شئتم ، ولكن لا تموتوا بيننا  
فلنا في ارضنا ما نعمل  
ولنا الماضي هنا  
ولنا صوت الحياة الاول  
ولنا الحاضر، والحاضر ، والمستقبل  
ولنا الدنيا هنا... والآخرة  
فاخرجوا من أرضنا  
من برنا.. من بحرنا



# مديح الظل العالي

الأغلال؟

مال الظل مال علي، كسرتني وبعثرتني  
وطال الظل طال...

ليسرو الشجر الذي يسرو ليحملنا من الأعناق  
عنقودا من القتلى بلا سبب...

وجئنا من بلاد لا بلاد لها

وجئنا من يد ألفصحي و من تعب...

خراب هذه الأرض التي تمتد من قصر الأمير إلى زنازنا  
ومن أحلامنا الأولى إلى... حطب

فأعطينا جدارا واحدا لنصيح يا بيروت!

أعطينا جدارا كي نرى أفقا و نافذة من اللهب

وأعطينا جدارا كي نعلق فوقه سدوم

التي انقسمت إلى عشرين مملكة

لبيع النفط... والعربي

وأعطينا جدارا واحدا

لنصيح في شبه الجزيرة :

بيروت خيمتنا الأخيرة

بيروت نجمتنا الأخيرة

أفق رصاصي تناثر في الأفق

طرق من الصدف الجوف... لا طرق

ومن المحيط إلى الجحيم

من الجحيم إلى الخليج

ومن اليمين إلى اليمين إلى الوسط

شاهدت مشنقة فقط

شاهدت مشنقة بجبل

واحد

من أجل مليوني عنق!

بيروت! من اين الطريق إلى نوافذ قرطبه

أنا لا أهاجر مرتين

ولا أحبك مرتين

ولا أرى في البحر غير البحر...

لكنني أحوم حول أحلامي

وأدعو الأرض جمجمة لروحي المتعبه

وأريد أن أمشي

لأمشي

ثم أسقط في الطريق

إلى نوافذ قرطبه

بيروت شاهدة على قلبي

و أرحل عن شوارعها و عني

عالقا بقصيده لا تنتهي

و أقول ناري لا تموت...

على البنايات الحمام

على بقاياها السلام...

بحر لأيلول الجديد

خريفنا يدنو من الأبواب

بحرٌ للنشيد المر

لمنتصف النهار

بحرٌ لرايات الحمام

لظلنا، لسلاحنا الفردي

بحرٌ للزمان المستعار

ليديك، كم من موجة سرقت يديك

من الإشارة وانتظاري

ضع شكلنا للبحر

ضع كيس العواصف عند أول صخرة

واحمل فراغك... وانكساري

بحرٌ جاهزٌ من أجلنا

دع جسمك الدامي يصفق لخريف المر أجراساً

ستتسع الصحارى عما قليل

حين ينقض الفضاء على خطاك

كنا نقطة التكوين، كنا وردة السور الطويل وما تبقى من

جدار

ماذا تبقى منك غير قصيدة الروح المحلق في دخان

القيامة

وقيامة بعد القيامة

خذ نثاري وانتصر في ما يمزق قلبك العاري

ويجعلك انتشاراً للبدار

قوساً يلم الأرض من أطرافها

جرساً لما ينساه سكان القيامة من معانيك

انتصر

إن الصليب مجالك الحيوي

مسراك الوحيد من الحصار إلى الحصار

بحرٌ لأيلول الجديد. وأنت إيقاع الحديد

تدقني سحباً على الصحراء

فلتمطر لأسحب هذه الأرض الصغيرة من إساري

لا شيء يكسرننا، وتنكسر البلاد على أصابعنا كفخار

وينكسر المسدس من تلهفك

انتصر، هذا الصباح، ووحد الرايات والامم الحزينة

والفصول

كل ما أوتيت من شيق الحياة

بطلقة الطلقات... باللاشيء

وحدنا بمعجزة فلسطينية

نم يا حبيبي، ساعة

لنمر من أحلامك الأولى إلى عطش البحار... إلى البحار

نم يا حبيبي ساعة

حتى تتوب المجدلية مرة أخرى، ويتضح انتحاري

نم، يا حبيبي، ساعة

حتى يعود الروم، حتى نطرد الحراس عن أسوار قلعتنا

وتنكسر الصوّاري

كي نصفق لاغصاب نساننا في شارع الشرف التجاري

نم يا حبيبي ساعة حتى نموت

هي ساعة للانهيان

هي ساعة لوضوحنا

هي ساعة لغموض ميلاد النهار

كم كنت وحدك، يا ابن أمي

يا ابن أكثر من أب

كم كنت وحدك

القمح مر في حقول الآخرين

والماء مالح، والغيم فولاذ

وهذا النجم جارح

وعليك أن تحيا وأن تحيا

وأن تعطي مقابل حبة الزيتون جلدك

كم كنت وحدك

لا شيء يكسرننا، فلا تغرق تماما

في ما تبقى من دم فينا

لنذهب داخل الروح المحاصر بالتشابه واليتامي

يا ابن الهواء الصلب، يا ابن اللفظة الأولى على الجزر

القديمة

يا ابن السيدة البحيرات البعيدة

يا ابن من يحمي القدامى... من خطيئتهم

ويطبع فوق وجه الصخر برقاً أو حماما

لحمي على الحيطان لحمك، يا ابن أمي

جسدٌ لأضراب الظلال

وعليك أن تمشي بلا طرُق

وراء، أو أماماً، أو جنوباً أو شمال

وتحرك الخطوات بالميزان

حين يشاء من وهبوك قيدك

ليزينوك ويأخذوك إلى المعارض كي يرى الزوار مجدك

كم كنت وحدك!

كم كنت وحدك!

هي هجرة أخرى

فلا تكتب وصيتك الأخيرة والسلاما

سقط السقوط، وأنت تعلق

فكرة

ويداً

و... شاماً!

لا بر إلا ساعدك

لا بحر إلا الغامض الكحلي فيك

فتقمص الأشياء كي تتقمص الأشياء خطوتك الحراما

واسحب ظلالك من بلاط الحاكم العربي

حتى لا يعلقها وساما

واكسر ظلالك كلها كيلا يمدوها بساطاً أو ظلاما

كسروك، كم كسروك كي يقفوا على ساقيك عرشا

وتقاسموك وأنكروك وخبأوك وأنشأوا ليديك جيشا

حطوك في حجر.. وقالوا: لا تسلّم



ورموك في بئر .. وقالوا: لا تسلّم  
وأطلت حربك، يا ابن أمي  
ألف عام ألف عام ألف عام في النهار  
فأنكروك لأنهم لا يعرفون سوى الخطابة والفرار

هم يسرقون الآن جلدك  
فاحذر ملامحهم .. وغمدك  
كم كنت وحدك، يا ابن أمي  
يا ابن أكثر من أب  
كم كنت وحدك!

والآن، والأشياء سيّدة، وهذا الصمت عال كالذبابه  
هل ندرك المجهول فينا؟ هل نغني مثلما كنا نغني؟  
سقطت قلاع قبل هذا اليوم، لكن الهواء الآن حامض  
وحدي أذاع عن هواء ليس لي  
وحدي أذاع عن هواء ليس لي  
وحدي على سطح المدينة واقف  
أيوب مات، وماتت العنقاء وانصرف الصحابه  
وحدي. أراود نفسي الثكلي فتأبى أن تساعدني على  
نفسى  
ووحدي... كنت وحدي  
عندما قاومت وحدي... وحدة الروح الأخيره  
لا تذكر الموتى، فقد ماتوا فرادى أو.. عواصم  
سأراك في قلبي غداً، سأراك في قلبي

وأجهش يا ابن أمي باللغة  
لغة تفتش عن بنيتها، عن أراضيها وراويها  
تموت ككل من فيها، وترمى في المعاجم  
هي آخر النخل الهزيل وساعة الصحراء  
آخر ما يدل على البقايا  
كانوا! ولكن كنت وحدك  
كم كنت وحدك تنتمي لقصيدتي، وتمدّ زندك  
كي تحوّلها سلالم، أو بلاداً، أو خواتم  
كم كنت وحدك يا ابن أمي  
يا ابن أكثر من أب  
كم كنت وحدك!

والآن، والأشياء سيّدة، وهذا الصمت يأتينا سهاماً  
هل ندرك المجهول فينا. هل نغني مثلما كنا نغني؟  
آه، يا دمنا الفضيحة، هل ستأتيهم غماما  
هذه أمم تمرّ وتطبخ الأزهار في دمنا... وتزداد انقساماً  
هذه أمم تفتش عن إجازاتها من الجمل المزخرف  
هذه الصحراء تكبر من حولنا  
صحراء من كل الجهات  
صحراء تأتينا لتلتهم القصيدة والحساما  
هل نختفي فيما يفسرنا ويشبهنا  
وهل.. هل نستطيع الموت في ميلادنا الكلي  
أم:  
نحتل مئذنة ونعلن في القبائل أن يثرب أجرت قرآنها  
ليهود خبير؟  
الله أكبر  
هذه آياتنا، فأقرأ

باسم الفدائي الذي خلقا  
من جزمة أفقا  
باسم الفدائي الذي يرحل  
من وقتكم.. نداء الأول  
الأول.. الأول  
سندمر الهيكل... سندمر الهيكل  
أشلاؤنا أسماؤنا. لا... لا مفر  
سقط القناع عن القناع عن القناع  
سقط القناع

لا إخوة لك يا أخي، لا أصدقاء يا صديقي، لا قلاع  
لا الماء عندك، لا الدواء ولا السماء ولا الدماء ولا  
الشرع  
ولا الأمام ولا الوراء  
حاصر حصارك... لا مفر  
سقطت ذراعك فالتقطها  
واضرب عدوك.. لا مفر  
وسقطت قربك، فالتقطني  
واضرب عدوك بي.. فأنت الآن حر  
حر.. حر

قتلاك أو جرحك فيك ذخيرة  
فاضرب بها. اضرب عدوك.. لا مفر  
أشلاؤنا أسماؤنا  
حاصر حصارك بالجنون... وبالجنون...  
وبالجنون  
ذهب الذين تحبهم ذهبوا  
فإما أن تكون أو لا تكون  
سقط القناع عن القناع عن القناع  
سقط القناع  
ولا أحد

إلاك في هذا المدى المفتوح للأعداء والنسيان  
فاجعل كل متراس بلد  
لا... لا أحد  
سقط القناع:  
عرب أطاعوا رومهم  
عرب وباعوا روحهم  
عرب... وضاعوا

والله غمّس باسمك البحري أسبوع الولادة واستراح إلى  
الأبد  
كُن أنت. كن حتى يكون!  
لا... لا أحد

هل أنا ألف، وباء للكتابة أم لتفجير الهياكل؟  
كم سنه كنا معاً طوق النجاة لقارة محمولة فوق السراب  
ودفتر الإعراب؟  
كم عرب أتوك ليصبحوا غرباً  
وكم غرب أتاك ليدخل الإسلام من باب الصلاة على  
النبي  
وسنة النفط المقدّس؟ كم سنة  
وأنا أصدق أن لي أمماً ستتبعتني  
وأنت تكذبين على الطبيعة والمسدس. كم سنة!  
من تزوجني صفائراً لأشوق رغبتني وأموت كالأمم  
القديمة

كم سنه أغريتني بالمشي نحو بلادي الأولى

وبالطيران تحت سمائي الأولى  
وباسمك كنت أرفع خيمتي للهاربين من التجارة والدعارة  
والحضارة  
كم سنة كنا نرش على ضحايانا كلام البرق:  
بعد هنيهة سنكون ما كنا وما سنكون  
إما أن نكون نهارك العالي... وإما أن نعود إلى  
البحيرات القديمة  
كم سنة لم تسمعيني جيداً. لم تردعيني جيداً  
لم تحرميني من فواكهك الجميلة  
لم تقولي:

حين يبتسم المخيم تعبس المدن الكبيرة!!  
كم سنة  
قلنا معاً: أنا لا أشاء، ولا تشائين. اتفقنا. كلنا في البحر  
ماء

كم سنه كانت تنظّمنا يد الفوضى  
تعينا من نظام الغاز  
من مطر الأنابيب الرتيب  
ومن صعود الكهرباء إلى الغرف  
حريتي فوضاي. إني أعترف  
وسأعترف بجميع أخطائي، وما أترف الفؤاد من الأمانى  
ليس من حق العصافير الغناء على سرير النائمين  
والإيديولوجيا مهنة البوليس في الدول القوية  
من نظام الرق في روما  
إلى منع الكحول وآفة الأحزاب في ليبيا الحديثة  
كم سنة

نحن البداية والبداية والبداية. كم سنة  
كنا هناك. ومن هنا ستهاجر العرب  
لعقيدة أخرى وتغرب  
قصب هياكلنا  
وعروشنا قصب  
في كل مئذنة  
حاو، ومغتصب  
يدعو لأندلس  
إن حوصرت حلب  
بيروت... فجراً  
يطلق البحر الرصاص على النوافذ  
يفتح العصفور أغنية مبكرة  
يطير جارنا رف الحمام إلى الدخان  
يموت من لا يستطيع الركض في الطرقات  
قلبي قطعة من برتقال يابس  
أهدي إلى جاري الجريدة كي يفتش عن أقاربه...  
أعزیه غداً

أمشي لأبحث عن كنوز الماء في قبو البناية  
يدخل الطيران أفكارى ويقصفها  
فيقتل تسع عشرة طفلة  
يتوقف العصفور عن إنشاده  
والموت يأتينا بكل سلاحه الجوي والبري والبحري  
ألف قذيفة أخرى... ولا يتقدم الأعداء شبراً واحداً  
ما زلت حياً - ألف شكر للمصادفة السعيدة  
بيذل الرؤساء جهداً عند أمريكا لتفرج عن مياه الشرب  
كيف سنغسل الموتى؟  
ويسأل صاحبي: وإذا استجاب للضغوط فهل سيسفر



# يحبونني ميتاً

يُحِبُّونَنِي مَيِّتًا لِيَقُولُوا: لَقَدْ كَانَ مِنَّا، وَكَانَ لَنَا .

سَمِعْتُ الخَطِيَّ ذَاتَهَا، مُنْذُ عَشْرِينَ عَامًا تَدُقُّ عَلَى حَائِطِ اللَّيْلِ .

تَأْتِي وَلَا تَفْتَحُ البَابَ .

لَكِنَّهَا تَدْخُلُ الآنَ .

يَخْرُجُ مِنْهَا الثَّلَاثَةُ: شَاعِرٌ، قَاتِلٌ، قَارِئٌ .

أَلَا تَشْرَبُونَ نَبِيذًا؟ سَأَلْتُ، سَنَشْرَبُ .

قَالُوا: مَتَى تُطْلِقُونَ الرِّصَاصَ عَلَيَّ؟ سَأَلْتُ .

أَجَابُوا: تَمَهَّلْ! وَصَفُوا الكُؤُوسَ وَرَاحُوا

يُغْنُونَ للشَّعْبِ، قُلْتُ: مَتَى تَبْدَعُونَ اغْتِيَالِي؟

فَقَالُوا: ابْتَدَأْنَا... لِمَاذَا بَعَثْتَ إِلَى الرُّوحِ أَحَدِيَّةً!

كَيْ تَسِيرَ عَلَى الأَرْضِ، قُلْتُ .

فَقَالُوا: لِمَاذَا كَتَبْتَ القَصِيدَةَ بَيَضَاءً وَالأَرْضُ

سَوْدَاءُ جَدًّا .

أَجَبْتُ: لِأَنَّ ثَلَاثِينَ بَحْرًا تَصُبُّ بِقَلْبِي .

فَقَالُوا: لِمَاذَا تُحِبُّ النَّبِيذَ الفَرَنْسِيَّ؟

قُلْتُ: لِأَنِّي جَدِيرٌ بِأَجْمَلِ امْرَأَةٍ .

كَيْفَ تَطْلُبُ مَوْتَكَ؟

أَرَزَقَ مِثْلَ نُجُومِ تَسِيلٍ مِنَ السَّقْفِ - هَلْ

تَطْلُبُونَ المَزِيدَ مِنَ الخَمْرِ؟

قَالُوا: سَنَشْرَبُ .

قُلْتُ: سَأَسْأَلُكُمْ أَنْ تَكُونُوا بَطِينِينَ، أَنْ تَقْتُلُونِي

رُويًا رُويًا لِأَكْتُبَ شِعْرًا ...

(من ديوان «ورد أقل» ١٩٨٦)

شعبٌ يفتشُ عن مكان  
بين الشظايا والمطر  
وجهي على الزهرة  
الزهرة / الجمرة  
وطني حقيبه  
في الليل أفرشها سريراً  
وأنام فيها  
أخدع الفتيات فيها  
أدفن الأحباب فيها  
أرتضيها لي مصيراً  
وأموت فيها  
كفّي على النجمة  
النجمة / الخيمة  
وطني حقيبه  
من جلد أحبابي  
وأندلس القريبه  
وطني على كتفي  
بقايا الأرض في جسد العروبه

موتنا عن  
دولة . . . . . أم خيمة ؟  
قلت : أنتظر ! لا فرق بين الرايتين  
قلت : أنتظر حتى تصب الطائرات جحيمها !  
بيروت . . . . . ظهراً  
يستمر الفجر منذ الفجر  
تنكسر السماء على رغيف الخبز  
ينكسر الهواء على رؤوس الناس من عبء الدخان  
ولا جديد لدى العروبة!  
بعد شهر يلتقي كل الملوك بكل أنواع الملوك  
من العقيد إلى الشهيد، ليبحثوا خطر اليهود على وجود  
الله  
أما الآن فالأحوال هادئة تماماً مثلما كانت  
والموت يأتينا بكل سلاحه الجوي والبري والبحري  
مليون انفجار في المدينة  
هيروشيما هيروشيما  
وحدنا نصغي إلى رعد الحجارة  
وحدنا نصغي لما في الروح من عبث ومن جدوى  
وأمریکا على الأسوار تهدي كل طفل لعبة للموت عنقودية  
يا هيروشيما العاشق العربي  
أمریکا هي الطاعون، والطاعون أمریکا  
نعسنا. أيقظتنا الطائرات وصوت أمریکا  
وأمریکا لأمریکا  
وهذا الأفق اسمنت\* لوحش الجو  
نفتح\* لعبة السردين، تقصفها المدافع\*  
نحتمي بستارة الشباك، تهتز البناية  
تقفز الأبواب  
أمریکا وراء الباب  
أمریکا

# الخبز

بيروت . . . . . ليلاً  
يخرج الشهداء من أشجارهم، يتفقدون صغارهم  
يتجولون على السواحل، يرصدون الحلم والرؤيا  
يغطون السماء بفائض الألوان، يفترشون موقعهم  
يسمون الجزيرة، يغسلون الماء، ثم يطرزون حصارنا  
قططاً . . . . . ونحلاً  
وحدنا، والله فينا وحدنا  
الله فينا قد تجلى!  
. . . . . أمس - الآن - بعد غدٍ  
نشيد\* للخريف  
صور لما بعد النهار  
وظلال امرأة غريبه  
وطني حقيبه  
وحقيبتني وطني  
ولكن . . . . . لا رصيف ولا جدار  
لا أرض تحتي كي أموت كما أشياء  
ولا سماء حولي لأتقها وأدخل في خيام الأنبياء  
ظهري إلى الحائط  
الحائط / الساقط!  
وطني حقيبه  
وحقيبتني وطن العجر  
شعبٌ يخيمُ في الأغاني والدخان



و لا أنا، لغتي شظايا  
كغياب امرأةٍ عن المعنى،  
وتنتحرُ الخيولُ في آخر الميدان ...

ريتا تحتسي شاي الصباح  
وتقشر التفاحة الأولى بعشر زنايقٍ  
وتقول لي :

لا تقرأ الآن الجريدة، فالطبول هي الطبول  
والحرب ليست مهنتي. وأنا أنا. هل أنت أنت ؟  
أنا هو

هو من رآك غزاةً ترمي لألئها عليه  
هو من رأى شهواته تجري وراءك كالغدير  
هو من رأنا تائهين توحدنا فوق السرير  
وتباعدا كتحية الغرباء في الميناء  
ياخذنا الرحيل في ريحه ورقا  
أمام فنادق الغرباء  
مثل رسائل قرئت على عجل  
أتأخذني معك؟

فأكون خاتم قلبك الحافي، أتأخذني معك  
فأكون ثوبك في بلاد أنجبتك ... لتصرعك  
وأكون تابوتا من النعناع يحمل مصرعك  
وتكون لي حيا وميتا  
ضاع يا ريتا الدليل  
والحب مثل الموت وعد لا يرد .. ولا يزول

ريتا تُعدُّ لي النهار  
حجلاً تجمع حول كعب حذائها العالي :

صباح الخير يا ريتا  
وغيماً أزرقاً للياسمينية تحت إبطيها :

صباح الخير يا ريتا  
وفاكهة لضوء الفجر: يا ريتا صباح الخير  
يا ريتا أعيديني إلى جسدي لتهدأ لحظة  
إبر الصنوبر في دمي المهجور بعدك .  
كلما عانقتُ برج العاج فرت من يدي يمامتان ..  
قالت: سأرجع عندما تتبدل الأيام والأحلام  
يا ريتا طويل هذا الشتاء ، ونحن نحن

فلا تقولي ما أقول أنا هي  
هي من رأتك معلقاً فوق السياج ، فأنزلتك وضممتك  
وبدمعها غسلتك، انتشرت بسوسنها عليك  
ومررت بين سيوف اخوتها ولعنة أمها وأنا هي  
هل أنت أنت؟

تقوم ريتا عن ركبتي  
تزور زينتها، وتربط شعرها بفراشة فضية .  
ذيل الحصان يُداعبُ النمش المبعثر  
كرذاذ ضوء فوق الرخام الأنثوي  
تعيد ريتا زر القميص إلى القميص الخردلي ... أأنت لي ؟  
لك ، لو تركت الباب مفتوحاً على ماضي ،  
لي ماض أراه الآن يولد في غيابك  
من صرير الوقت في مفتاح هذا الباب  
لي ماض أراه الآن يجلس قربنا كالطاولة  
لي رغوة الصابون  
والعسل المملح  
والندى  
والزنجبيل

ريتا ترتب ليل غرفتنا: قليل هذا النبيذ  
وهذه الأزهار أكبر من سريري  
فافتح لها الشباك كي يتعطر الليل الجميل  
ضع ههنا قمراً على الكرسي  
ضع فوق البحيرة  
حول منديلي ليرتفع النخيل أعلى وأعلى  
هل لبست سواي ؟ هل سكتك امرأة  
لتجهش كلما التفت على جذعي فروغك ؟  
حك لي قدمي وحك دمي لنعرف ما  
تحلفه العواصف والسيول  
مني ومنك ...

تنام ريتا في حديقة جسمها  
توت السياج على أطرافها يضيء  
الملح في جسدي. أحبك .  
نام عصفوران تحت يدي ...  
نامت موجة القمح النبيل على تنفسها البطيء  
ووردة حمراء نامت في الممر  
ونام ليل لا يطول  
والبحر نام أمام نافذتي على إيقاع ريتا  
يعلو ويهبط في أشعة صدرها العاري  
فنامي بيني وبينك  
لا تغطي عتمة الذهب العميقة بيننا  
نامي يدا حول الصدى  
ويدا تبعثر عذلة الغابات  
نامي بين القميص الفستقي ومقعد الليمون  
نامي فرساً على رايات ليلة عرسها ...  
هدأ الصهيل  
هدأت خلايا النحل في دمننا  
فهل كانت هنا ريتا  
وهل كنا معا ؟

ريتا سترحل بعد ساعات وتترك ظلها  
زنزانة بيضاء . أين سنلتقي ؟  
سألت يديها، فالتفت إلى البعيد  
البحر خلف الباب، والصحراء خلف البحر  
قبلني على شفتي قالت .  
قلت: يا ريتا أرحل من جديد  
مادام لي عنب وذاكرة ، وتتركني الفصول  
بين الإشارة والعبارة هاجساً؟  
ماذا تقول ؟  
لا شيء يا ريتا ، أقلتُ فارساً في أغنية  
عن لعنة الحب المحاصر بالمرايا ...  
عني؟

وعن حلمين فوق وسادة يتقاطعان ويهربان  
فواحد يستل سكيناً وآخر يُودع الناي الوصايا  
لا أدرك المعنى، تقول

ولك الأيائل ، إن أردت، لك الأيائل والسهول  
ولك الأغاني، إن أردت، لك الأغاني والذهول  
إني ولدت لكي أحبك  
فرسا ترقص غابة، وتشق في المرجان غيابك  
وولدت سيدة لسيدها، فخذني كي أصبك  
خمرًا نهائياً لأشفي منك فيك، وهات قلبك  
إني ولدت لكي أحبك  
وتركت أمني في المزامير القديمة تلعن الدنيا وشعبك  
ووجدت حراس المدينة يطعمون النار حُبك  
وإني ولدت لكي أحبك

ريتا تكسر جوز أيامي، فتتسع الحقول  
لي هذه الأرض الصغيرة في غرفة في شارع  
في الطابق الأرضي من مبنى على جبل  
يطل على هواء البحر. لي قمر نبيذٍ وكَي حجر صقيل  
لي حصة من مشهد الموج المسافر في الغيوم ، وحصّة  
من سفر تكوين البداية وسفر أيوب ، ومن عيد الحصاد  
وحصّة مما ملكت، وحصّة من خبز أمني

لي حصة من سوسن الوديان في أشعار عشاق قدامي  
لي حصة من حكمة العشاق: يعشق وجه قاتله القليل  
لو تعبرين النهر يا ريتا  
وأين النهر، قالت ...  
قلتُ فيك وفي نهر واحد  
وأنا أسيل دما وذاكرة أسيل  
لم يترك الحراس لي باباً لأدخل فاتكأت على الأفق  
ونظرت تحت

نظرت فوق

نظرت حول

فلم أجد

أفقا لأنظر، لم أجد في الضوء إلا نظرتي  
ترتد نحوي. قلت عودي مرة أخرى إلي، فقد أرى  
أحداً يحاول أن يرى أفقا يرممه رسول  
برسالة من لفظتين صغيرتين: أنا، وأنت  
فرح صغير في سرير ضيق ... فرح ضئيل  
لم يقتلونا بعد، يا ريتا، ويا ريتا.. ثقيل  
هذا الشتاء وبارد

ريتا تغني وحدها

لبريد غربتها الشمالي البعيد: تركت أمني وحدها  
قرب البحيرة وحدها، تبكي طفولتي البعيدة بعدها  
في كل أمسية تنام ضفيري الصغيرة عندها  
أمني، كسرت طفولتي وخرجت امرأة تُربي نهدها  
بغم الحبيب. تدور ريتا حول ريتا وحدها :

لا أرض للجسدين في جسد، ولا منفي لمنفي  
في هذه الغرف الصغيرة، والخروج هو الدخول  
عبثاً نغني بين هاويتين، فلنرحل ليتضح السبيل  
لا أستطيع، ولا أنا، كانت تقول ولا تقول  
وتهدئ الأفراس في دمها: أمن أرض بعيدة  
تأتي السنونو، يا غريب ويا حبيب، إلى حديقتك الوحيدة؟  
خذني إلى أرضي البعيدة  
خذني إلى الأرض البعيدة، أجهشت ريتا: طويل هذا  
الشتاء

وكسرت خزف النهار على حديد النافذة

وضعت مسدسها الصغير على مسودة القسيدي  
ورمت جواربها على الكرسي فانكسر الهديل  
ومضت إلى المجهول حافية ، وأدركني الرحيل



## درس من كاما سو طرا

غداً . وتذكر قلاعاً صليبيةً  
قَضَمَتْهَا حشائش نيسان بعد  
رحيل الجنود ....

تَجْرَحُنِي غِيْمَةٌ فِي يَدِي : لا  
أريدُ مِنَ الأَرْضِ أَكْثَرَ مِنْ  
هذه الأَرْضِ: رائحة الهالِ والقشِّ  
بين أبي والحِصانِ .  
في يدي غِيْمَةٌ جَرَحْتَنِي . ولكنني  
لا أريدُ مِنَ الشمسِ أَكْثَرَ  
من حَبَّةِ البَرْتَقَالِ وَأَكْثَرَ مِنْ  
ذَهَبِ سَالٍ من كلمات الأذانِ

أَسْرَجُوا الخَيْلَ ،  
لا يعرفون لماذا ،  
ولكنهم أسرجوا الخيل  
في آخر الليل، وانتظروا  
شَبْحاً طالعا من شقوق المكانِ ....

(من ديوان «لماذا تركت الحصان وحيداً»، ١٩٩٥)

إلى اين تأخذني يا أبي ؟  
إلى جهةِ الرِّيحِ يا ولدي ...

... وَهُمَا يَخْرُجَانِ مِنَ السَّهْلِ ، حَيْثُ  
أقام جنودٌ بونا بَرْتٌ تَلا لِرِصْدِ  
الظلالِ على سورِ عَكَا القديمِ -  
يقولُ أبٌ لابنه : لا تَخَفْ . لا  
تخف من أَرِيْزِ الرصاصِ ! التصقُ  
بالترابِ لتنجو ! ستنجو ونعلو على  
جَبَلٍ في الشمالِ ، ونرجعُ حين  
يعودُ الجنودُ إلى أهلهم في البعيدِ .

ومن يسكنُ البَيْتَ من بعدنا  
يا أبي ؟  
سيفي على حاله مثلما كان  
يا ولدي!

تَحَسَّسَ مَفْتاحَهُ مثلما يتحسَّسُ  
أعضاءه ، واطمأنَّ . وقال لَهُ  
وهما يعبرانِ سِياجاً من الشوكِ :  
يا ابني تذكرُ! هنا صَلْبُ الانجليزِ  
أباك على شوْكِ صَبَّارة ليلتين ،  
ولم يعترف أبداً . سوف تكبر يا  
ابني ، وتروي لمن يرثون بنادقهم  
سيرة الدم فوق الحديدِ ....

- لماذا تركت الحصان وحيداً ؟  
- لكي يؤنس البيت ، يا ولدي ،  
فالببوتُ تموت إذا غاب سُكَّانها ...

تفتَحُ الأبديةُ أبوابها ، من بعيد ،  
لسيَّارة الليلِ . تعوي ذئبٌ  
البراري علي قمرِ خائفٍ . ويقولُ  
أبٌ لابنه : كُن قوياً كجدك!  
وأصعدُ معي تلةَ السنديانِ الأخيرةِ  
يا ابني ، تذكرُ : هنا وقع الانكشاريُّ  
عن بَغلةِ الحربِ ، فاصمُدْ معي  
لنعودُ .

- متي با أبي ؟  
- غداً . ربما بعد يومين با ابني!

وكان غَدُ طائشٍ يمضغ الرِّيحِ  
خلفهما في ليالي الشتاء الطويلةِ .  
وكان جنودٌ يهُوشعُ بن نونِ بينون  
قَلَعَتْهُمُ من حجارة بيتهما . وهما  
يلهتان على دربِ (قانا) : هنا  
مرَّ سيِّدنا ذاتَ يومٍ . هنا  
جَعَلَ الماءُ خمرًا . وقال كلاماً  
كثيراً عن الحبِّ ، يا ابني تذكرُ

بكأسِ الشرابِ المرصَّعِ باللآزوردِ  
انتظرها ،  
على بركةِ الماءِ حولِ المساءِ وزَهْرِ الكُولُونيا انتظرها  
'  
بذوقِ الأميرِ الرفيعِ البديعِ  
انتظرها ،  
بسبعِ وسائدِ مَحْشُوَّةٍ بالسحابِ الخفيفِ  
انتظرها ،  
بنارِ البُخورِ النسائيِّ ملءَ المكانِ  
انتظرها ،  
برائحةِ الصَّنَدَلِ الذَّكَرِيَّةِ حولِ ظُهورِ الخيولِ  
انتظرها ،  
ولا تتعجَّلْ ، فإنَّ أقبَلتُ بعد موعدها  
فانتظرها ،  
وإنَّ أقبَلتُ قبل موعدها  
فانتظرها ،  
ولا تُجفَلِ الطيرَ فوقِ جدائلها  
وانتظرها ،  
لتجلسَ مرتاحةً كالحديقةِ في أَوْجِ زِينَتِها  
وانتظرها ،  
لكي تتنفسَ هذا الهواءَ الغريبَ على قلبها  
وانتظرها ،  
لترفعَ عن ساقها ثوبها غِيْمَةٌ غِيْمَةٌ  
وانتظرها ،  
وحُذِّها إلى شرفةٍ لترى قمرًا غارقًا في الحليبِ  
انتظرها ،  
وقَدِّمِ لها الماءَ ، قبلِ النُبِيذِ ، ولا  
تتطَلِّعْ إلى تَوَامِي حَجَلِ نائمينِ على صدرها  
وانتظرها ،  
ومسَّ على مَهَلِ يَدِها عندما  
تَضَعُ الكأسَ فوقِ الرخامِ  
كأنَّكَ تحملُ عنها الندى  
وانتظرها ،  
تحدِّثُ إليها كما يتحدَّثُ نايُّ  
إلى وَتَرِ خائفٍ في الكمانِ  
كأنكما شاهدانِ على ما يُعَدُّ غَدًا لكما  
وانتظرها ،  
ولمَّعِ لها ليلها خاتماً خاتماً  
وانتظرها ،  
إلى أن يقولَ لك الليلُ :  
لم يبقَ غيرُكما في الوجودِ  
فحُذِّها ، برفقٍ ، إلى موتكِ المشنهيِّ  
وانتظرها ! ...

(من ديوان "سرير الغريبة" ١٩٩٩)

# درس من كاما سو طرا

إلى اين تأخذني يا أبي ؟  
إلى جهةِ الرِّيحِ يا ولدي ...



خضراء، أرض قصيدتي خضراء عالية...  
تطل علي من بطحاء هاويتي...  
غريب أنت في معنك . يكفي أن  
تكون هناك ، وحدك ، كي تصير  
قبيلة...  
غنيت كي أزن المدى المهذور  
في وجع الحمامة ،  
لا لأشرح ما يقول الله للإنسان ،  
لست أنا النبي لأدعي وحيا  
وأعلن أن هاويتي صعود

وأنا الغريب بكل ما أوتيت من  
لغتي . ولو أخضعت عاطفتي بحرف  
الضاد ، تخضعني بحرف الباء عاطفتي ،  
وللكلمات وهي بعيدة أرض تجاور  
كوكبا أعلى . ولل كلمات وهي قريبة  
منفى . ولا يكفي الكتاب لكي أقول :  
وجدت نفسي حاضرا ملاء الغياب .  
وكلما فتشت عن نفسي وجدت  
الآخرين . وكلما فتشت عنهم لم  
أجد فيهم سوى نفسي الغريبة ،  
هل أنا الفرد الحشود ؟

وأنا الغريب . تعبت من " درب الحليب"  
إلى الحبيب . تعبت من صفتي .  
يضيق الشكل . يتسع الكلام . أفيض  
عن حاجات مفردتي . وأنظر نحو  
نفسي في المرايا :  
هل أنا هو ؟  
هل أودي جيدا دوري من الفصل  
الأخير ؟

وهل قرأت المسرحية قبل هذا العرض ،  
أم فرضت علي ؟  
وهل أنا هو من يؤدي الدور  
أم أن الضحية غيرت أقوالها  
لتعيش ما بعد الحادثة ، بعدما  
أنحرف المؤلف عن سياق النص  
وانصرف الممثل والشهود ؟

وجلست خلف الباب أنظر :

هل أنا هو ؟  
هذه لغتي . وهذا الصوت وخز دمي  
ولكن المؤلف آخر...  
أنا لست مني إن أتيت ولم أصل  
أنا لست مني إن نطقت ولم أقل  
أنا من تقول له الحروف الغامضات :  
اكتب تكن !  
واقرا تجد !  
وإذا أردت القول فافعل ، يتحد  
صدك في المعنى...  
وباطنك الشفيف هو القصيد

بحارة حولي ، ولا ميناء  
أفرغني الهباء من الإشارة والعبارة ،  
لم أجد وقتا لأعرف أين منزلتي ،  
الهنئية ، بين منزلتين . لم أسأل  
سؤالي ، بعد ، عن غبش التشابه  
بين يابين : الخروج أم الدخول...  
ولم أجد موتا لأقتنص الحياة .  
ولم أجد صوتا لأصرخ : أيها  
الزمن السريع ! خطفتني مما تقول  
لي الحروف الغامضات :  
الواقعي هو الخيالي الأكيد

يا أيها الزمن الذي لم ينتظر...  
لم ينتظر أحدا تأخر عن ولادته ،  
دع الماضي جديدا ، فهو ذكرك  
الوحيدة بيننا ، أيام كنا أصدقاء ،  
لا ضحايا مركباتك . واترك الماضي  
كما هو ، لا يقاد ولا يقود

ورأيت ما يتذكر الموتى وما ينسون...  
هم لا يكبرون ويقرأون الوقت في  
ساعات أيديهم . وهم لا يشعرون  
بموتنا أبدا ولا بحياتهم . لا شيء  
مما كنت أو سأكون . تنحل الضمائر  
كلها . " هو " في " أنا " في " أنت " .  
لا كل ولا جزء . ولا حي يقول  
لميت : كني !

.. وتنحل العناصر والمشاغر . لا  
أرى جسدي هناك ، ولا أحس  
بعنفوان الموت ، أو بحياتي الأولى .  
كأني لست مني . من أنا ؟ أنا  
الفقيد أم الوليد ؟

الوقت صفر . لم أفكر بالولادة  
حين طار الموت بي نحو السديم ،  
فلم أكن حيا ولا ميتا ،  
ولا عدم هناك ، ولا وجود  
تقول ممرضتي : أنت أحسن حالا .  
وتحقني بالمخدر : كن هادئا  
وجديرا بما سوف تحلم  
عما قليل ...

رأيت طبيبي الفرنسي  
يفتح زنزانتي  
ويضربني بالعصا  
يعاونه اثنان من شرطة الضاحيه

رأيت أبي عائدا  
من الحج ، مغمي عليه  
مصابا بضرية شمس حجازية  
يقول لرف ملائكة حوله :  
أطفئوني ! ...

رأيت شبيا مغاربة  
يلعبون الكرة  
ويرمونني بالحجارة : عد بالعبارة  
واترك لنا أمنا  
يا أبانا الذي أخطأ المقبره !

رأيت " ريني شار"  
يجلس مع " هيدغر"  
على بُعد مترين مني ،  
رأيتهما يشربان النبيذ  
ولا يبحثان عن الشعر...  
كان الحوار شعاعا  
وكان غد عابرا ينتظر

رأيت رفاقي الثلاثة ينتحبون  
وهم  
يخطون لي كفا  
بخيوط الذهب

رأيت المعري يطرد نقاده  
من قصيدته :  
لست أعمى  
لأبصر ما تبصرون ،  
فإن البصيرة نور يؤدي  
إلى عدم... أو جنون

رأيت بلادا تعانقني  
بأيدي صباحية : كن  
جديرا برائحة الخبز . كن  
لائقا بزهور الرصيف  
فما زال تنور أمك  
مشتعلا ،  
والتحية ساخنة كالرغيف !

خضراء ، أرض قصيدتي خضراء . نهر واحد يكفي  
لأهمس للفراشة : أه ، يا أختي ، ونهر واحد يكفي لإغواء  
الأساطير القديمة بالبقاء على جناح الصقر ، وهو يبذل  
الرايات والقمم البعيدة ، حيث أنشأت الجيوش ممالك  
النسيان لي . لاشعب أصغر من قصيدته . ولكن السلاح  
يوسع الكلمات للموتى وللأحياء فيها ، والحروف تلمع  
السيف المعلق في حزام الفجر ، والصحراء تنقص  
بالأغاني ، أو تزيد

لأعمر يكفي كي أشد نهايتي لبدائتي  
أخذ الرعاة حكايتي وتوغلوا في العشب فوق مفاتن  
الأنقاض ، وانتصروا على النسيان بالأبواق والسجع  
المشاع ، وأورثوني بحة الذكرى على حجر الوداع ، ولم  
يعودوا...

رعوية أيامنا رعوية بين القبيلة والمدينة ، لم أجد ليلا  
خصوصيا لهودجك المكلل بالسراب ، وقلت لي :  
ما حاجتي لاسمي بدونك ؟ نادني ، فأنا خلقتك  
عندما سميتني ، وقتلتني حين امتلكت الاسم...  
كيف قتلتني ؟ وأنا غريبة كل هذا الليل ، أدخلني



# مقهى، وأنت مع الجريدة

مقهى، وأنت مع الجريدة جالسٌ  
لا، لست وحدك. نصفُ كأسك فارغٌ  
والشمسُ تملأُ نصفها الثاني...

ومن خلف الزجاج ترى المشاة المسرعين  
ولا ترى [إحدى صفات الغيب تلك :  
ترى ولكن لا ترى]  
كم أنت حرٌّ أيها المنسيُّ في المقهى!  
فلا أحد يرى أثر الكمنجة فيك،  
لا أحد يحملق في حضورك أو غيابك،  
أو يدقق في ضبابك إن نظرت  
إلى فتاة وانكسرت أمامها..  
كم أنت حرٌّ في إدارة شأنك الشخصيُّ  
في هذا الزحام بلا رقيب منك أو  
من قارئ!

فاصنع بنفسك ما تشاء، إخلع  
قميصك أو حذاءك إن أردت، فأنت  
منسيٌّ وحرٌّ في خيالك، ليس لاسمك  
أو لوجهك ههنا عملٌ ضروريٌّ. تكون  
كما تكون... فلا صديق ولا عدوٌّ  
يراقب هنا ذكرياتك /

فالتمس عذراً لمن تركتك في المقهى  
لأنك لم تلاحظ قصة الشعر الجديدة  
والفراشات التي رقصت على غمّازتيها /  
والتمس عذراً لمن طلب اغتيالك،  
ذات يوم، لا لشيء... بل لأنك لم  
تمت يوم ارتطمت بنجمة.. وكتبت  
أولى الأغنيات بحبرها..

مقهى، وأنت مع الجريدة جالسٌ  
في الركن منسيّاً، فلا أحد يهين  
مزاك الصافي،  
ولا أحد يفكر باغتيالك  
كم أنت منسيٌّ وحرٌّ في خيالك!

النقوش على حجارة معبد هزمتك  
وانتصرت، وأفلت من كمائنك  
الخلود...  
فاصنع بنا، واصنع بنفسك ما تريدُ

كانت ساعة الميناء تعملٌ وحدها  
لم يكثر أحدٌ بليل الوقت، صيادو  
ثمار البحر يرمون الشباك ويجدلون  
الموج. والعشاق في الـ "ديسكو".  
وكان الحالمون يربّتون القبّرات النائمتِ  
ويحلمون...

وقلت: إن متّ انتبهت...  
لديّ ما يكفي من الماضي  
وينقصني غد...

سأسير في الدرب القديم على  
خطاي، على هواء البحر. لا  
امرأة تراني تحت شرفتها. ولم  
أملك من الذكرى سوى ما ينفعُ  
السفر الطويل. وكان في الأيام  
ما يكفي من الغد. كنت أصغرُ  
من فراشاتٍ ومن غمّازتين:

خذي النعاس وخبّيني في  
الرواية والمساء العاطفي /  
وخبّيني تحت إحدى النخلتين /  
وعلميني الشعر / قد أتعلمُ  
التجوال في أنحاء "هومير" / قد  
أضيف إلى الحكاية وصف

عكا / أقدم المدن الجميلة،  
أجمل المدن القديمة / علبّة  
حجرية يتحرك الأحياء والأمواتُ  
في صلصالها كخلية النحل السجين  
ويضربون عن الزهور ويسألون  
البحر عن باب الطوارئ كلما  
اشتدّ الحصارُ / وعلميني الشعر /

قد تحتاج بنتٌ ما إلى أغنية  
لبعيدها: (( خذني ولو قسراً  
إليك، وضع منامي في  
يديك )) . ويذهبان إلى الصدي  
متعانقين / كأنني زوجتُ ظلياً  
شارداً لغزلة / وفتحت أبواب  
الكنيسة للحمام... / وعلميني

الشعر / من غزلت قميص  
الصوف وانتظرت أمام الباب  
أولى بالحديث عن المدى، وبخية  
الأمل: المحارب لم يعد، أو  
لن يعود، فلست أنت من  
انتظرت... /

إلى غابات شهوتك، احتضني واعتصمني،  
واسفك العسل الزفافي النقي على قفير النحل.  
بعثني بما ملكت يدك من الرياح ولمني.  
فالليل يسلم روحه لك يا غريب، ولن تراني نجمةً  
إلا وتعرف أن عائلتي ستقتلني بماء اللزورد،  
فهاتني ليكون لي - وأنا أحطم جرتي بيدي -  
حاضري السعيد

.. ويا موتٌ انتظر، ياموتُ،  
حتى أستعيد صفاء ذهني في الربيع  
وصحتي، لتكون صياداً شريفاً لا  
يصيد الطيب قرب النبع. فلتكن العلاقة  
بيننا وديّة وصريحة: لك أنت  
مالك من حياتي حين أملأها..  
ولي منك التأمل في الكواكب:  
لم يمّت أحدٌ تماماً، تلك أرواح  
تغير شكلها ومقامها /

يا موت! ياظلي الذي  
سيقودني، يا ثالث الاثنين، يا  
لون التردد في الزمرد والزمرد،  
يا دم الطاووس، يا قنّاص قلب  
الذئب، يا مريض الخيال! اجلس  
على الكرسي! ضع أدوات صيدك  
تحت نافذتي. وعلق فوق باب البيت  
سلسلة المفاتيح الثقيلة! لا تحديق  
يا قوي إلي شراييني لترصد نقطة  
الضعف الأخيرة. أنت أقوى من  
نظام الطب. أقوى من جهاز  
تنفسي. أقوى من العسل القوي،  
ولست محتاجاً - لتقتلني - إلى مرضي.

فكن أسمي من الحشرات. كن من  
أنت، شفافاً بريداً واضحاً للغيب.  
كن كالحب عاصفة على شجر، ولا  
تجلس على العتبات كالشحاذ أو جابي  
الضرائب. لا تكن شرطي سير في  
الشوارع. كن قوياً، ناصع الفولاذ، وإخلع عنك أقنعة  
الثعالب. كن

فروسيّاً، بهياً، كامل الضربات. قل  
ماشتت: (( من معنى إلي معنى  
أجيب. هي الحياة سيولة، وأنا  
أكتفها، أعرّفها بسطواني وميزاني )) .. /

ويا موتٌ انتظر، واجلس على  
الكرسي. خذ كأس النبيذ، ولا  
تفاوضني، فمثلك لا يُفاوض أي  
إنسان، ومثلي لا يعارض خادم  
الغيب. استرح... فلربما أنهكت هذا  
اليوم من حرب النجوم. فمن أنا  
لتزورني؟ ألدك وقت لاختبار  
قصيدي. لا. ليس هذا الشأن  
شأنك. أنت مسؤول عن الطيني في

البشري، لا عن فعله أو قوله /  
هزمتك يا موتُ الفنون جميعها.  
هزمتك يا موتُ الأغاني في بلاد  
الرافدين. مسلة المصري، مقبرة الفراعنة،



.. ويا موتٌ انتظر، ياموتُ،

حتى أستعيد صفاء ذهني في الربيع



# الحزن المخبز

## الحلم، ما هو؟

الحلم، ما هو؟  
ما هو اللاشيء هذا  
عابر الزمن،  
البهّي كنجمة في أول الحب،  
الشهي كصورة امرأة  
تدلك نهدا بالشمس؟ /  
ما هو، لا أكاد أراه حتى  
يختفي في الأمس /  
لا هو واقع لأعيش وطأته وخفته  
ولا هو عكسه لأطير حرّاً  
في فضاء الحدس /  
ما هو، ما هو اللاشيء، هذا الهش  
هذا اللانهائي، الضعيف، الباطني  
الزائر، المتطائر، المتناثر،  
المتجدد المتعدد الأشكال؟  
ما هو؟ لا يجس ولا يمس /  
ولا يمد يداً إلى المتلهفين الحائرين  
فما هو السري هذا،  
الحائر، الحذر، المحير  
حين انتظر الزيارة مطمئن النفس /  
يكسرني ويخرج مثل لؤلؤة  
تدحرج ضوءها،  
ويقول لي: لا تنتظري  
إن أردت زيارتي  
لا تنتظري!

## ولنا بلاد

ولنا بلاد لا حدود لها، فكفرتنا عن  
المجهول، ضيقة واسعة. بلاد...  
حين نمشي في خريبتها تضيق بنا،  
وتأخذنا إلى نفق رمادي، فنصرخ  
في متاهتها: وما زلنا نحبك. حُبنا  
مرض وراثي. بلاد... حين  
تنبذنا إلى المجهول... تكبر. يكبر  
الصفاف والأوصاف. يكبر عشبها  
وجبالها الزرقاء. تتسع البحيرة في  
شمال الروح. ترتفع السنابل في جنوب  
الروح. تلمع حبة الليمون قنديلاً  
على ليل المهاجر. تسطع الجغرافيا  
كُتباً مقدسة. وسلسلة التلال  
تصير معراجاً، إلى الأعلى... إلى الأعلى.  
"لو أنني طائر لحرقت أجنحتي" يقول  
لنفسه المنفي. رائحة الخريف تصير  
صورة ما أحب... تسرب المطر  
الخفيف إلى جفاف القلب، فانفتح الخيال  
على مصادره، وصار هو المكان، هو  
الحقيقي الوحيد. وكل شيء في  
البعيد يعود ريفياً بدائياً كأن الأرض  
ما زالت تكون نفسها للقاء آدم، نازلاً  
للتطابق الأرضي من فردوسه. فأقول:  
تلك بلادنا حُبلى بنا.. فمتى ولدنا؟  
هل تزوج آدم امرأتين؟ أم أنا  
سنولد مرة أخرى  
لكي ننسى الخطيئة؟

لم تأت. قلت: ولن.. إذا  
سأعيد ترتيب المساء بما يليق بخيبي  
وغيابها:  
أطفأت نار شموعها،  
أشعلت نور الكهرياء،  
شربت كأس نبيذها وكسرتة،  
أبدلت موسيقى الكمنجات السريعة  
بالأغاني الفارسية.  
قلت: لن تأتي. سأنضو ربطة  
العنق الأنيفة [هكذا أرتاح أكثر]  
أرتدي بيجامة زرقاء. أمشي حافياً  
لو شئت. أجلس بارتخاء القرفصاء  
على أريكتها، فأنساها  
وأنسى كل أشياء الغياب /  
أعدت ما أعددت من أدوات حفلتنا  
إلى أدراجها. وفتحت كل نوافذني وستائري.  
لاسر في جسدي أمام الليل إلا  
ما انتظرت وما خسرت...  
سخرت من هوسي بتنظيف الهواء لأجلها  
[عطرته برذاذ ماء الورد والليمون]  
لن تأتي... سأنقل نبتة الأوركيد  
من جهة اليمين إلى اليسار لكي أعاقبها  
على نسيانها...  
غطيت مرآة الجدار بمعطف كي لا أرى  
إشعاع صورتها... فأندم /  
قلت: أنسى ما اقتبست لها  
من الغزل القديم، لأنها لا تستحق  
قصيدة حتى لو مسروقة...  
ونسيته، وأكلت وجبتي السريعة واقفاً  
وقرأت فصلاً من كتاب مدرسي  
عن كواكبنا البعيدة  
وكتبت، كي أنسى إساءتها، قصيدة  
هذي القصيدة!



## البيدهيات العسيرة

يوفر لها القدرة على أن تنجز، في مناخ السلام الكاذب، ما لم تنجزه في مناخ الحرب، من هيمنة إقليمية، ومن راحة استفراد بالشعب الفلسطيني المحاصر. لا سلام مع الاحتلال، ولا جدول أعمال للتسوية إلا بعد جلاء الاحتلال - هذا ما يقوله الشارع الفلسطيني والعربي الغاضب، بعفوية بليغة وبوعي عميق وبإرادة فولاذية، وبوحدة شعورية وفكرية كاملة لا يستطيع النظام العربي تجاهلها المتابعة دوره في الوساطة. فإن خيار السلام لم يكن يعني أبدا إخماد روح المقاومة والتخلي عن ثقافة المقاومة، والشروع السريع في تطبيع العلاقة غير الطبيعية مع الاحتلال. وإلا، فكيف نقرأ الجنون الحربي الإسرائيلي العام؟ وكيف نقرأ هتافهم: الموت للعرب؟ أما نحن، فلا نملك غير جنون الدفاع عن القدس وعن السلام، إذا كان السلام هو الابن الشرعي للحرية، ولا نملك إلا جنون الدفاع عن أخوة الطفل محمد، الجالس في حضن أبيه، مثل يسوع في قلب أيقونة.

(جريدة «الدستور» الأردنية، ٢٠٠٢)

وجودنا التاريخي في بلادنا وجوداً احتلالياً غريباً على «أرض اليهود الأزلية-الأبدية»، الخالية منا ومن التاريخ معاً... لا لشيء إلا لابتكار علاج ما لعقدة شرعية التاريخية. هذا هو المفهوم الصهيوني للتطبيع، الذي «انطلى» حتى على بعض حكومات الأطراف العربية البعيدة التي لم تكن لها ناقة في الصراع، لكنها حملت جملها رسائل حب إلى إسرائيل، باب واشنطن العالي، منذ اتخذ الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني أشكالا جديدة، فهبت إلى إقامة علاقات «متوازنة» بين إسرائيل وفلسطين، ليكون لها دور الوسيط المحايد في الصراع على القدس بين الحقيقة الفلسطينية وبين الخرافة الإسرائيلية، بين الضحية والجلاد. ألم تكن فلسطين أكثر من ذريعة... وأكثر من جسر للعبور إلى ضدها؟ لكن الشارع العربي المطرود من السياسة يعود اليوم إلى السياسة من باب المقدس المخضب بالدم، ليعبر عن تراكم المكبوت، وعن مدى القطيعة من النظام، الذي تمادى في الحياد وفي التطبيع مع دولة لم تفهم من التسوية غير ما

كلما خيل لنا أن صورة فلسطين انتقلت من مكانتها المقدسة إلى سياق العادي، فاجأتنا بقدرتها الفذة على إيقاف معناها الخالد، ببعديه الروحي والزمني من نعاس تاريخي عابر... من دمها يشرق اسمها من جديد، مرجعية وبوصلة.

فلا ماضي للقلب إلا على أسوار القدس. ولا طريق إلى الغد إلا عبر أزقتها الضيقة. ولا أفق للسلام، على أرض الفداء والسلام، إلا بإنجاز مشروع الحرية.

سيسهل علينا القول إن الروح قد عادت للمرة الألف، إلى جسد لا يدل عليه سوى دمه المسفوك، لا لأن التاريخ لا يتقن العمل بأدوات طاهرة فقط، بل لأن الحرية ذئبة جائعة أيضاً.

وهكذا حين يُضَرَّجُ المُقدَّس بالدم، تبدو عودة الروح طقسية واحتفالية، على الرغم من أنها لم تذهب تماماً، لكن تجليها كان في حاجة إلى تطابق الوعي مع الإرادة. إنتفاضة جديدة لتعليمنا درس البيدهيات العسيرة، فليست فلسطين جغرافيا فحسب بقدر ما هي أيضا تراجيديا وبطولة. ولا هي فلسطينية فقط، بقدر ما هي إخصاب لفكرة العربي عن نفسه، ومعنى إضافي لمعنى وجوده، في صراعه مع خارجه ومع داخله، ليكون جزءاً من تاريخه الخاص ومن التاريخ العام. لم تبتعد فلسطين عن حقيقتها، قبل هذا الانفجار، فقد كانت دائماً ما هي، هناك.

لكن الضباب الذي غطى البصر لم يحجب الرؤية عن البصيرة. إذ لم تسفر الانعطافات التجريبية في السياسة، بعد، عما يبرر انكفاء أحد إلي خيمته الإقليمية. فلن يصل العرب إلى غدهم فرادى، ولن يصل الفلسطينيون إلى القدس وحدهم وإن كان لديهم دور الشرارة والقربان.

انتفاضة جديدة لتعليمنا درس البيدهيات العسيرة. فلم يكف الإسرائيليون عن شرح مفهومهم لسلام يريدونه مفروضاً بالقوة، خالياً من الأرض ومن العدالة، وهو سلام السادة والعبيد، الذي لا يعدنا بأكثر من حق الإقامة في ضواحي المستوطنات وعلى أطراف الخرافة. لقد استنفد الفلسطينيون كل رصيدهم في المرونة حول نفسها.

ودفعوا ثمناً أعلى وأعلى مما تستحقه تسوية لا تتجاوز الاعتراف بحقنا في إقامة دولة مستقلة على عشرين بالمائة من أرض وطننا التاريخي، دون أن يبدي الجانب الإسرائيلي أي استعداد للانسحاب من متر واحد من مساحة أسطوره عن ذاته وعن التاريخ، التي تعتبر

## ذاكرة للنسيان

واعدت أن أحصي عدد السوس في صحن حساء العدس، الطبق اليومي في السجون - واعدت أن أتغلب على الاشتمزاز، لأن الشهية تتكيف، ولأن الجوع أقوى من الشهية. ولكنني لم أتكيف أبداً مع غياب القهوة الصباحية ومع تناول غسيل الشاي. ألهذا لم أتعاش مع ظروف السجن. سألتني صديقة بعد خروجي من السجن الأول: هل استمتعت؟ قلت: لا، لأنهم لا يقدمون القهوة. قالت: هذا شيء فظيع. وأضافت: ولكنني لا أشرب القهوة. قلت: لا أعرف سيدات كثيرات مهووسات بصباح القهوة. الرجل هو الذي يفتتح نهاره بالقهوة، أما المرأة فإنها تفضل المكياج!

ليس ذلك ما أمني، لقد تمكن أحد زملائي السجناء من إحضار فنجان من القهوة لي، ذات صباح، تلقفته بشبق ومنحت نفسي وقتاً للتأمل، مما دفع زميلاً آخر إلى تصويب نظرة استعطاف نحو الفنجان، تجاهلتها لأتوحد مع ملكيتي، تجاهلتها وتلذذت برشف القهوة بسادية أيقظت في إحساساً بالإنتم فيما بعد. كان ذلك قبل عشرين عاماً، وما زالت تلك النظرة المتوسلة تلاحقني إلى الآن داعية إياي إلى إعادة النظر المستمرة في نفسي وإلى تهذيب سلوكي، لأن العطاء وتقاسم الأشياء في السجن هو معيار صدق العطاء. لم أتخلص من عقدة الذنب بما أغدقت بما أغدقت هو معيار صدق العطاء. لم أتخلص من السجن من نصف فنجان من القهوة، مما دفع الأقدار إلى معاقبتي، بعد أسبوع، يوم جاءت أمي لزيارتي ومعها إبريق من القهوة دلقه الحارس على العشب.. والقهوة لا تُشرب على عجل. القهوة أخت الوقت. تُحتسى على مهل.. على مهل.. القهوة عادة تلازمها بعد السجارة عادة أخرى هي.. الجريدة.

أين الجريدة؟ الساعة السادسة صباحاً. وأنا في عين الجحيم. ولكن الخبر هو ما يُقرأ لا ما يُسمع. والواقع، قبل تسجيل الواقع، ليس واقعاً تماماً.

أعرف باحثاً في الشؤون الإسرائيلية لا يكف عن تكذيب "الشائعات" القائلة إن بيروت محاصرة، لأنه لا يقرأ الحقيقة إلا إذا كانت مكتوبة باللغة العبرية. وبما أن الصحف الإسرائيلية لم تصل إليه، فإنه لا يعترف بأن بيروت محاصرة! ليس هذا ما يُصيني من حماقة، فالجريدة الصباحية ادمان، أين الجريدة؟

تصاعدت هستيريا الطائرات، لقد جُنَّت السماء. جُنَّت تماماً، يُنذر هذا الفجر بأن هذا اليوم هو آخر أيام الخليفة. فأين يضربون؟ أين لا يضربون؟ وهل تتسع منطقة المطار لكل هذه القذائف القادرة على قتل بحر؟.. افتح الراديو فأضطر للاستماع إلى الإعلانات التجارية السعيدة: ساعة سيتزن لضبط الوقت. سجائر ميريت، نكهة أكثر ونيكوتين أقل. تعال إلى مالبورو تعال إلى حيث المتعة، مئة الصحة، صحة من جبل عالي، ولكن أين الماء؟ غنج متزايد عن يوم عادي من أيام حرب عادية، عادية في نشرة الأخبار، أحول إبرة الراديو إلى إذاعة لندن، الفتور المमित ذاته في أصوات مذييعين يدخنون الغليون على مسمع من المستمعين.

والقهوة لا تُشرب على عجل. القهوة أخت الوقت. تُحتسى على مهل.. على مهل.. القهوة عادة تلازمها بعد السجارة عادة أخرى هي.. الجريدة.



# في حضرة الغياب

الحنين مُسامرة الغائب للغائب، والتفات البعيد إلى البعيد.  
الحنين عطش النبع إلى حاملات الجرار، والعكس أيضاً صحيح.  
الحنين يجز المسافة وراء وراء، كأن التطلع إلى أمام، وقد سمي أملاً، خاطرة شعرية ومغامرة.  
فعل المضارع حائراً متردداً، وفعل الماضي الناقص معلق على سرورة وقفت خلف تلة، على ساقها الراسخة، والتفت بأخضرها الدأكن، وأرهفت السمع إلى صوت واحد: صوت الريح.  
الحنين هو صوت الريح.

وكلما توغلت في وحدتك، كتلك الشجرة، أخذك الحنين برفق أمومي إلى بلده المصنوع من مواد شفافة هشة، فللحنين بلد وعائلة وذوق رفيع في تصفيف الأزهار البرية.  
وله زمن منتقى برعاية إلهية، زمن أسطوري هادي يَنْضج فيه التين على مهل، وينام فيه الطيب إلى جانب الذئب في خيال الولد الذي لم يشاهد مذبحه.  
ويطوف بك الحنين، كدليل جنة سياحي، في أنحاء بلاده، ويصعد بك على جبل كنت تأوي إليه وتتمرغ في النباتات البرية، حتى تتشرب مسام جلدك برائحة المريمية.  
الحنين هو الرائحة.

وللحنين فصل مدلل هو الشتاء. يولد من قطرات الماء الأولى على عشب يابس، فيصعد زفرات استغاثة أنثوية، عطشى إلى البلبل. وعد بزفاف كوني هو المطر. وعد بانفتاح المغلق على الجوهر، وحلول المطلق في ماهيات... هو المطر.

كم من سديانة هناك تشرئب إلى اثنين: أنت وهي، تركضان تحت المطر، بلا مظلة وبلا قبعة، سعيدين بفضيحة شريفة، سعيدين بنصف عري. تركضان ولا تعرفان إلى أين، متحررين من الطريق ومن الهدف. تلهثان معا من تعب لذيذ السبب.  
وتندسان في جوف سديانة ضيق لا يتسع إلا لواحد. فتلتصق بك وتلتصق بها حتى تصيرا اثنين في واحد.  
وتعتصرك وتعتصرها فيسخن الماء عليكما وفيكما وتلهثان من الدفء، ولا تحتاج الشهوة إلى ذريعة المطر الذي أدخلكما إلى مخدع السديانة وانصرف. الحنين هو اختلاط النار في الماء.  
وللحمى صفة أخرى هي الحنين. في كل

شتاء يُوجعك فرح غائب، وتمشي تحت المطر واحداً في اثنين: أنت ومن كنته في شتاء آخر، فتفتفت إلى نفسك كلاماً لا تقهمه لعجز الذاكرة عن استعادة العاطفة السالفة، ولقدرة الحنين على إضفاء ما لم يكن على ما كان، كأن تصبح الشجرة غابة، والحجر حجلة، وكأن تكون سعيداً في زنانة تراها أوسع من حديقة عامة، وكأن يكون الماضي واقفاً في انتظارك غداً ككلب وفي.  
الحنين يكذب ولا يتعب من الكذب لأنه يكذب بصدق.  
كذب الحنين مهنة. والحنين شاعر محبب يعيد كتابة القصيدة الواحدة مئات المرات. وعجوز ما زال يحبو لأنه نسي حركة الزمن وتحاشى النظر في المرأة.  
الحنين هو التزوير البريء للوثائق لحماية مرجعية المنفي من الصداق.  
وهو الكس الضروري لتلميع البيوت المهجورة.

لكن أحداً لا يحن إلى وجع أو هلع وجنازة. الحنين هو اختصاص الذاكرة في تجميل ما احتجب من المشهد، وترميم شبك سقط دون أن يصل سقوطه إلى الشارع. والحنين قصاص المنفي من المنفي، وخجل المنفي من الإعجاب بموسيقى منفي وحدائق... فإن تحن يعني أن لا تغتبط بشيء، هنا، إلا على استحياء.  
لو كنت هناك تقول. لو كنت هناك لكنت ضحكتي أعلى وكلامي أوضح.  
فالحنين هو توق الكلمات إلى حيزها الأول حتى لو كانت غامضة وغريبة عن الجماعة.  
لكني. تقول لنفسك. أوتر اغتراب في المنفي على الاغتراب في البيت، ففي المنفي ما يوجب ذلك.

لذلك تحن في الزحام إلى نفسك، إلى خلوة للكتابة. الكتابة اقتراب واغتراب يتبادلان الماضي والحاضر.  
ظماً الكلمات إلى ماء يلعب في سراب الأسطورة، وانقلاب التشبيه على المشبه، وتمويه الواقع بالصورة، بيدي الحنين الحريريتين تروض المسافة... إذ تسقف سماءك بكواكب مستعارة، وتمضي مع امرأة أخرى، حقيقية، إلى غرفة دافئة، معافي من أسباب الحمى، ومن أنين منقطع لا يكتمل.  
فلصوت المطر على الزجاج هياج الرغبة. ليس أكثر من هذا لبيزغ الضوء من ليل الجسد: سريرك سرّك/ ماضيك يأتي غداً/ على نجمة لا تصيب الندى/ بأذى.  
تلقني برأسك على ركبتيها لتستمع على ما



يقول الجسد الخالي من الحنين، فقد خلقت حواء للتو، وللتو ولدت بلا ذاكرة.  
أنت غدي وحاضري ولا أمس لي. تقول لها.  
وتقول لك: أنت غدي وحاضري ولا أمس لي.  
تتأمان اثنين في واحد، ولا تحلمان بما هو أكثر من هذا. لم يسأل أحد منكما الآخر عن معنى الاسم، من شدة ما كان مجهولكما الشهي عاكفاً على تأجيج الفتنة. تفتتك وتفتنها. وبعد أن تمتلكها وتمتلكك، وتمتليء بها وتمتليء بك، يناديك ما يناديها من أقاليم البعيد، فتحن هي على ماضيها خلف الباب، وإلى أغنية غير أغنيتك/

الحنين إلى البداية، إلى الطريقة التي تم بها إيلاج المفتاح في قفل الباب.  
وإخفاء النظرة عن غايتها. واختيار المقعد وموسيقى الليل بعفوية متمرسة. هو التمرين العاطفي على جس نبض الكون. وهو، أي ذاك الحنين، استرجاع للفصل الأجل في الحكاية: الفصل الأول المرتجل بكفاءة البديهة.

هكذا يولد الحنين من كل حادثة جميلة، ولا يولد من جرح. فليس الحنين ذكرى، بل هو ما يُنتقى من متحف الذاكرة.  
الحنين انتقائي كإستاني ماهر، هو تكرار للذكرى وقد صُفيت من الشوائب.  
وللحنين أعراض جانبية من بينها: إدمان الخيال النظر إلى الوراء، والخرج من رفع الكلفة مع الممكن، والإفراط في تحويل الحاضر إلى ماض، حتى في الحيّ: تعالي معي نصنع الليلة ماضياً مشتركاً. يقول المريض بالحنين.  
سأتي معك لنصنع غداً مشتركاً. تقول

المصابة بالحب.

هي لا تحب الماضي وتريد نسيان الحرب التي انتهت.  
وهو يخاف الغد لأن الحرب لم تنته، ولأنه لا يريد أن يكبر أكثر.

الحنين ندبة في القلب، وبصمة بلد على جسد.

لكن لا أحد يحن إلى جرحه، لا أحد يحن إلى وجع أو كابوس، بل يحن إلى ما قبله، إلى زمن لا ألم فيه سوى ألم الملمات الأولى التي تذوب الوقت كقطعة سكر في فنجان شاي، إلى زمن فردوسي الصورة.  
والحنين نداء الناي للناي لترميم الجهة التي كسرتها حوافر الخيل في حملة عسكرية.

هو المرض المتقطع الذي لا يعدي ولا يُميت، حتى لو اتخذ شكل الوباء الجمعي.  
هو دعوة للسهر مع الوحيد، وذريعة العجز عن المساواة مع ركاب قطار يعرفون عناوينهم جيداً.  
وهو ما يجمع لأحلام الغرباء من مواد مصنوعة من شفافية اللاشيء الجميل، ويحمص لهم بن اليقظة.  
ونادراً ما يأتي صباحاً. ونادراً ما يتدخل في حديث عابر مع سائق تاكسي.  
ونادراً ما يتطفل على قاعة مؤتمر، أو على الموعد الأول بين أنثى وذكر... هو زائر المساء، حين تبحث عن آثارك في ما حولك ولا تجدها، حين يحط على الشرفة دوري يبدو لك أنه رسالة من بلد لم تحبه وأنت فيه، كما تحبه الآن وهو فيك.

كان معطى وشجرة وصخرة، وصار عناوين روح وفكرة، وجمرة في اللغة.  
كان هواءً وتراباً وماء، وصار على القصيدة.

الحنين أنين الحق العاجز عن الإتيان بالبرهان على قوة الحق أمام حق القوة المتمادية... أنين البيوت المدفونة تحت المستعمرات، يورثه الغائب للغائب، والحاضر للغائب، مع قطرة الحليب الأولى، في المهاجر والمخيمات.  
الحنين صوت الحرير الصاعد من التوت إلى من يحن إليه في أنين متبادل.  
هو اندماج الغريزة بالوعي وباللاوعي... وشكوى الزمن المفقود من سادية الحاضر.

الحنين وجع لا يحن إلى وجع. هو الوجع الذي يسببه الهواء النقي القادم من أعالي جبل بعيد، وجع البحث عن فرح سابق. لكنه وجع من نوع صحي، لأنه يذكرنا بأننا مرضى بالأمل... وعاطفيون!